ديوان

عبد الحميد الديب

شاعر البؤس

تحقيق ودراسة
محمد رضوان

مراجعة وتقديم
فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديوان
عبد الحميد الديب

شاعر البؤس

تحقيق ودراسة : محمد رضوان

مراجعة وتقديم: فاروق شوشة



الطبعة الأولى ٢٠٠٠

تقـــديم

عبد الحميد الديب

وتر نافر وصعلكة مبدعة

بقلم فاروق شوشة



يا معشر الذيب وافى كلُّ مغتربٍ
إلاَّ غريبكم فى مصر ما بانا
قدمتم الشاة قرباناً لعيدكم
والدهر قدمنى للبؤس قُربانا

* عبد الحميد الذيب *

فى معترك التحول الشعرى الكبير ، بين كلاسيكية تترنح وتتهاوى ، ورومانسية ثائرة جامحة متمردة ، بين شعر شغل طويلا بخارج الإنسان : شواغل واهتمامات وعرض حياة وشعر يصطبغ بالوجدان ، ويأخذ عنه شهادته على إبداع جديد وليد . فى أتون هذا التحول العنيف ولدت شاعرية عبد الحميد الديب وترا نافرا فى قيثارة الشعر ، وصوتا مغايرا للمعهود والمألوف من معجم الشعراء ، وعريا كاملا – حتى إحداث الصدمة أحيانا – من مواضعات العصر وطبقية تصنيف الشعراء ، وسيطرة المفهوم المتوقر للمعجم الشعرى .

ولم يكن عبد الحميد الديب يمتلك من مقومات هذا الموقف – النافر والمغاير – غير بضاعة شعرية يمكن أن تصنف داخل إطار السياق العام ، من حيث التكوين والتأهيل ، والانتماء الحميم للموروث الشعرى – شأن شعراء جيله – لكنها وهى الدالة على نموذجه الكلاسيكى ، أتيح لها من جوهر روحه وتمرده ، تلك النار المقدسة التى يقدر لها أن تتوهج وأن تشتعل بها عبقرية شعرية مغايرة ، شغلت حتى النخاع بتقييم ذاتها وذوات الآخرين ، وحظها المتدنّى وحظوظ الآخرين ، فكان وعيها العميق بالتفوق ، بالرغم من دونية الوضع الاجتماعى والإمكان المادى ، مطلقاً لهذا المارد الشعرى الذى يجرف فى طريقه – بوعى وبدون وعى – الأصدقاء والأعداء ، حتى ليصبح خطراً داهماً يتهدد كل من يعرفه ويلتصق به ، لن تشفع له صداقة ، ولن تغفر له مكرمة سابقة لأن الذى يتفضل به الآخرون من فتات هو بمنطق الديب استرداد لبعض ماله من حقوق قبل الحياة قبل أن تكون حقوقاً قبل البشر ، ومن رد اعتبار لشاعريته وفنه – وما أشد اعتزازه بهذا الفن وهذه الشاعرية إلى درجة المغالاة – إذن لا فضل لأحد عليه ، كلّ فضلٍ يصبح دون ما يستحق وكل تكريم يصبح أقل من قدره ومنزلته والذى يعطى ليس بأفضلَ ممن يأخذ بأية حال من الأحوال .

نحن إذن أمام صورة شديدة العصرية للشاعر الصعلوك فى موروثنا الشعرى القديم . الصعلكة فى حقيقتها ليست مجرد فقر أو إعدام ، وليست مجرد المبيت على الطوى أو ربط الحزام على البطن أو اضطرار صاحبها إلى أن يستف ترُب الأرض ، لكنها – أولاً وقبل كل شئ – التمرد على هذا كله ، والعزم على تغييره . الصعلكة إذن روح عارمة لاجتياز حاجز الفقر ، المادى والوجودى ، وإرادة إنسانية واعية بالحق الذى ينبغى أن يكفله المجتمع لأبنائه من هنا فقد ترددت فى شعر الصعاليك : عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم فكرة الحق والحقوق ورد الحق إلى أصحابه وأخذ الحق لمن لم يستطع أن يصل إليه .

يقول عروة :

أتهــــزأ منـى أن ســـــمنت وأن تـرى
بجــــســـمى نحــول الحـق والحق جــاهدُ
وإنى امـــرؤ عـــافـى إنائـى شــركــة
وأنـت امـــرؤ عـــافى إنـائك واحـــدُ
أقـسّم جـســمى فى جـســوم كـثـيـرة
وأحـــســـو قـــراح الماء والماء باردُ

ويقول أيضاً :

ألـيس عـظـيـمـــا أن تلـم ملـمــة
ولـيس علـينا فى الحـقـوق مُـعــوّل
فـــإن نحـن لم نملـك دفـــاعـــا بحـــادث
تُـلم بـه الأيـام فـــالموت أجـــملُ

الصعلكة إذن هي هذه الروح المتمردة التى منحها التمرد شجاعة خارقة وقدرة أسطورية وموقفاً نادراً من أجل تحقيق الحق واسترداد الحقوق . وهى التى جعلت شعر هذه الزمرة من الخارجين على قانون ذلك الزمان – قانون القبيلة وأعراف المجتمع وتقالبده – مغايرا للشعر القديم في نسقه المألوف ، المساير للتقاليد والصنعة الفنية معاً . وهى التى جعلت القدماء يسمون هؤلاء الصعاليك باللصوص ، وأحلاس الليل ، وقطاع طريق القوافل ، وغيرها من التسميات التى توقفت عند العرض الخارجي دون أن تنفذ إلى المعنى الأعمق ، إلى الجوهر الوجودى والإنسانى لفعل الصعلكة وشعرها المغاير .

عبد الحميد الديب واحد من هؤلاء الشعراء الصعاليك – بهذا المعنى – تأخر به الزمان . لكنه ينحدر من أصلاب عروة والشنفرى وتأبط شرا والسليك . ويعيش روح الصعلكة باعتبارها تمردا على التقاليد وعلى الواقع ، كما عاشوها وليس بوصفها مجرد حُرفة أو محارفة ، أو مجرد خلو جيب أو جوع معدة أو لسعة ظمأ إلى شراب .

من هنا هذه الروح المتكبرة العاتية التى يمتلئ بها شعره ويتوهج ، لأنه يرى نفسه دائماً أعظم ممن يقصدهم ، ويرى شعره أرفع مما يكتبه شعراء التقاليد المستأنسة والمسيطرة التى تحقق المنفعة ، والقيم التى تؤازر المصالحة ولا تعمق شقة الخلاف أو الصدام أو الخروج على المألوف .

يقول عبد الحميد الديب :

يـا أمـــــة جـــــهلتنى وهى عـــــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشـــــــراقى
أعـــــيش فـــــيكم بلا أهـلٍ ولا وطـن
كـــعـــيش متـــجـع المعـــروف أفّـــاقِ
وليـس لى مـن حـــبـــيب فى ربوعكـمــو
إلا الحـــبـــيـــبين : أقـــلامى وأوراقى
ريشـت لحظّى ســهـام من نميـمـــتكم
فـــصـــارعـــتنى ومـــالى دونهـــا واقِ
لم أدر مـــاذا طعـــمـــتم فى مـــوائدكم
لحم الـذبيـــحـــة أم لحـمى وأخـــلاقى !

هذا الأفق الشعرى والإنسانى الذى حرص عبد الحميد الديب على أن يتوجه إليه ويرتفع بتمرده وعناده وإصراراه وأحيانا بهجائه المقذع ، وأبياته العارية التى أتيح لها انتشار واسع وذيوع صيت حتى لقد حفظها الكثيرون باعتبارها جوهر شعر الديب وشهادة إبداعه الشعرى ، هذا الأفق ضمن للديب تفرّده ، واتساع إهاب شعره الكلاسيكى لروح عصرية شديدة الحرارة والتوهج ، فكأن شعره جاء شهادة على أن الخمر الجديدة تضفى على آنيتها رونقها المغاير ، وتجعل لها حضورا فنيا وتشكيليا مخالفا للسائد والمألوف .

يقول الديب :

شكوت ، وما شكواى ضعف وذلّة
فلست بمستجد ولا طالبا يدا
ولكننى أفحمت ظلما بمنطقٍ
من الدهر ، لم تبلغ غباوته مدى
دمى دم أكفاء الحياة ونظرتى
بها للمحيط الضخم لا الطلّ والندى

وهو يرى فى نفسه وفى شعره عونا للهيف وغوثا ونصرة للمحتاج وهذا دليل على روح الصعلكة بمعناها الحقيقى وفى جوهرها الفروسى النبيل عندما يقول :

أأسجن من عون اللهيف وغوثه
ونُصرتى المظلوم سجناً مؤيدا
أيسئنى قومى ، لأنى شاعر
أهلهل فى الآلام شعرا مخلدا
وشدت كما شاد النبيون شرعة
تنزل فيها الوحى شعرا مردّدا
وقلت وقال الناس ، لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا ، فأربيت منشدا

حتى يصل إلى ذروة الموقف الوجودى والشعرى فى قوله :

يمينا لئن لم يؤمنوا بقضيتى
لأمضى إليهم سهم ظلمى مسددا

سأرقب عدلاً من قضاتى ، فإن أبوا
أبت قوتى فى الهجّو أن تتقيدا

ولنتوقف قليلا عند هذه الأبيات ، هى أولاً تذكرنا بنفس المتنبى ، شاعر العربية الكبير ، فى قمة زهوه واعتداده بنفسه ، وإحساسه بقدرته الإبداعية المغايرة لكل ما عداه ، ولكل شعراء زمانه حين قال من البحر نفسه والقافية نفسها ، وكأن عبد الحميد الديب فى فورة زهوه بذاته وشعره متابع للمتنبى دون أن يدرى فى قصيدته الشهيرة التى يخاطب فيها سيف الدولة :

أجزنى إذا أنشدت شعرا ، فإنما
بشعرى أتاك المادحون مرددا
ودع كل قول غير قولى فإننى
أنا الطائر المحكىُّ والآخر الصدى
وما الدهر إلا من رواة قصائدى
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

لنتأمل الآن ثانية الديب وبيتيه الجريئين المتمردين :

وشدت كما شاد النبيون شرعة
تنزل فيها الوحى شعرا مردّدا
وقلت وقال الناس لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا ، فأربيت منشدا!

أليست هذه روح المتنبى وكبرياءه ، ولغته ، وغلوّه فى زهوه بقيمته وقدره ومنزلته ! أليس المتنبى بدوره واحدا من هؤلاء الصعاليك العظام الذين عبروا ذاكرة الشعر العربى ، وتركوا فيها كلماتهم الباقية لامتلائها بهذا التوهج وهذا التمرد وهذه المغايرة فى الأفق وهذه الثورة على السائد والمألوف ، على التقليدى الميت الخالى من كل روح ؟

بلى ، هى فعلا . بل هو يذكرنا بمن هو أبعد من المتنبى وأسبق ، بالمهلهل الذى قيل فيه إنه سمى بهذا الاسم لأنه أول من هلهل القصيد ، أى أول من أحكمه وجعل له بنية تحكمه ونظاما يمضى عليه ، ألم يقل الديب :

أيـــئـــسنى قـــومى ، لأنى شـــاعـــر

" أهلـهل " فـى الآلام شـــعـــرا مـــخـلدا

هذه الهلهلة التى يشير إليها عبد الحميد الديب ، هى الترجمة الحقيقية والإفصاح الجهير عن شعوره بالتفوق والريادة . وهذا الإفصاح الذى داخلته المبالغات وتضخم الذات هو رد الفعل الحاد لشعوره الداخلى - بينه وبين نفسه - بأنه الأزهرى الذى لم يكمل تعليمه ، والأديب الذى لم يتح له وضع اجتماعى يحترمه به الناس كغيره ممن هم أقل قدرا ، وأتيحت لهم المناصب وتحقيق المآرب وتسنم سلّم الرقى الإجتماعى والمادى من حيث الحيثية والأهلية بينما قعدت به ظروفه عن نيل بعض ما نالوه ومواجهة العوز بسلاح الدخل الثابت الآمن ، والمستقبل بيقين المطمئن الهانىء البال .

وبالرغم من فقره وعوزه ، فإنه لم يسلم من ناهشى العرض والشامتين فيه . وبقدر شكواه من هؤلاء ، فإن الشكوى تشف عن وجه آخر للأمر وتنم عن تقدير داخلى لذاته . إن الناس لا تتناول بألسنتها الحداد إلا من كان له وجود وقدر وأهمية أما ساقطو المنزلة فلا يلتفت إليهم أحد . بل ربما كان هذا الشعور الذى يلاحقه ويطارده من كراهية الناس له وحقدهم عليه وشماتتهم به حافزا لتعاليه ومفجرا للمزيد من إبداعه الشعرى :

أمـــرّ على المقـــهى ، فـــأســمع شـــامـتـــاً

يمـزق فى عـــــرضى وآخــــر يشـــــفـعُ

وقـــد ســاء ظنى بالـعــبــاد جـــمــيــعــهم

فــأجــمــعت أمــرى فى العــداء وأجــمــعــوا

وينفجر الجرح ألماً نازفا وشجىً كاويا ، من خلال صياغة شعرية محكمة - هى جوهر الصياغة الكلاسيكية وتقاليدها العريقة الراسخة - وكأن الديب يذكرنا بكبار المبدعين الذين مزقتهم أسنّة الجحود والتنكر على تعاقب الأزمنة واختلاف الناس ، فتعانقتا أرواح ابن الرومى والمعرى فى القدماء وحافظ إبراهيم والشابى فى المحدثين عندما يقول :

مــا بال من عــرفــوا أليم خــصــاصــتى
ورقــيق حــالى ، ليس فــيــهم مُـســعفُ
من كـــان يـقـــدر أن يـفـــرّج كـــربتى
ويـنيـب مـــدمـــعـــه فظلم منصفُ
يتـــمـــتـــعـــون بمدمـــعى وشكايتى
والبـــدر سـلوى للورى إذ يخـــســف
ولـربمـا غـــــدت المواجـع سـلـوة
للمـــتـــرفين ومـــتـــعـــة لا تـوصف
ولقـــد تـسلّى العين وهى قـــريرة
بمن اغـــتـــدى فى قـــيـــد سـجنٍ يرسفُ

حتى نصل إلى قوله :

أأرى ذئـابـاً ؟ أم صـــحـــابـاً ؟ إنـهـم
وجـــمـــيـعـــهـم فى الخطب لم يتـعطّفـــوا
بار "اللواء" جـــمـــعـت بعض كـــتـــائب
والحـــقـــد فـــيـــهم مـــســـتـــبـــد متلفُ
وقـــفـــوا كـــمـــا وقف الزمـــان بمحنتى
لدمـى البـــرئ جـــمـــيـــعـــهم يستنزفُ
أأعـــيش بينهـــمـــو شـقـــيـاً مُعدمـا
وهمـــو غنىٌ ناعـمٌ ومـــوظـف !

لقد أتيح لعبد الحميد الديب أن يشهد التحولات الشعرية الكبرى فى زمانه : انحسار الكلاسيكية بعد رحيل علميها الكبيرين حافظ إبراهيم ثم أحمد شوقى ، واشتعال المدّ الرومانسى ممثلا فى جماعة أبولو التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٣٢ وأعلن عن قيامها قبل رحيل شوقى بأيام قليلة ، وما أثارته جماعة الديوان منذ نشر كتاب الديوان لعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى فى مستهل عشرينيات القرن وانضمام عبد الرحمن شكرى بعد ذلك إليهما فى الفكر والنظرة الجديدة إلى الشعر التى لا تعترف بشعر المناسبات الخارجية - الذي اهتم به الكلاسيكيون - وتدعو لشعر الوجدان الذى وجد نموذجه أولاً فى شعر المهجريين من أمثال جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبى ماضى وآل المعلوف ثم فى شعر الرومانسيين من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمود حسن إسماعيل وأبى القاسم الشابى ومحمد عبد المعطي الهمشرى وغيرهم . وكان الديب أكثر اقتراباً من حيث الصيغة والشكل إلى النمط الكلاسيكي للقصيدة ، لكنه في الوقت نفسه كان خليطا من أصداء الديوان والمهجريين والرومانسيين من حيث اللغة الشعرية والخيال المجنح والقدرة على التصوير والمبالغة فى التعبير عن إفضاءات الذات والوجدان . من هنا فإن قارئه المتأمل تستوقفه طيلة الوقت القفزات والانتقالات من جهارة الأداء الكلاسيكي - كما فى شعر حافظ إبراهيم خاصة فى هجائياته الاجتماعية ووطنياته - إلى تدفق الأداء الرومانسى ونعومته - كما فى شعر ناجى وعلى محمود طه والشابى - وإن كان الأداءان يجيش فيهما نَفَسُ عبد الحميد الديب المتمرد الثائر ونزعته الحادة العنيفة المفعمة بالسخرية والهجاء ، حتى لوقادته إلى الإقذاع والتورط فى معجم شعرى يصدم ذوق القارئ ويتعارض مع الآداب العامة .

ويصدق هنا على شعر عبد الحميد الديب ما يصدق على شعر مجايليه من الشعراء - أصحاب الثقافة الأزهرية فى أول الأمر الذين تجاوزوا هذا الأفق إلى ثقافة عصرية وآفاق أكثر انفتاحا واستنارة ، واهتمام بالقضايا الاجتماعية والوطنية - من أمثال أحمد مخيمر وطاهر أبو فاشا والعوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالى (الذين عرفوا باسم جماعة شعراء العروبة التى كان يرعاها دسوقى أباظه باشا ويتعهد أعضاءها على المستويين الإنسانى والأدبى لفترة طويلة من الزمان) . وكان الديب صديقا لهؤلاء الشعراء وقريباً منهم بحكم النشأة والتكوين والمزاج والثقافة ، لكنه كان يختلف عنهم من حيث الحرص على عدم الانتماء أو الالتفاف حول شخصية بعينها مهما كبرت وعظمت ، وهو الموقف الذى عرّضه لمواجهات قاسية مع أعباء الحياة وتكاليفها ، لكنه آثر هذه المواجهة على الانضواء أو المشاركة فيما رضى به الآخرون .

ذلك أن عبد الحميد الديب أقرب إلى نموذج الثورى اللامنتمى أو الثورى

الفوضوى الذى يرى سعادته فى الهجوم الدائم والنقد اللاذع والخروج على المواضعات والتقاليد أكثر من حرصه على المشاركة والالتفاف والمؤازرة والتأييد . وربما كان هذا الموقف سببا فى امتلاء شعره بوهج افتقده شعر نظرائه ومجايليه ، أشعلته نيران المحارفة وشكوى الزمان والتمرد والاستعلاء وعدم الرضا والسخط الدائم والتغير من حال إلى حال ومن موقف إلى موقف ومن صديق إلى صديق . فأصبح شعره – فى جوهره – مرصدا لتقلبات النفس الإنسانية الثائرة المحبطة ، التى أيأسها تكسر النصال على النصال ووقع الخطوب على الخطوب ، فأصبحت كالحيوان الشرس الجريح المحاصر ، لا يمل التهديد بالمزيد من العدوان والإفتراس والتوحش بالرغم من أنه ينزف وينزف حتى الموت ! .

* * * *

يبقى أن ما قام به الأستاذ محمد رضوان من جهد فى تجميع شعر عبد الحميد الديب من مظانه ومصادره المختلفة وتحقيقه ، يستحق الإشادة والتنويه . فهذه هى المرة الأولى التى يطالع فيها القارئ شعر هذا الشاعر الظاهرة الذى أصبح جزءا من النسيج الحى للوجدان الشعبى بالإضافة والمبالغة والشطط فى الوصف والتناول ، وهو ما حدث من قبل لشخصيات عديدة شغل بها الخيال الشعبى وجعل من صورتها أقرب شبها بالأساطير كما حدث لشخصية الزير سالم وجحا وأبى نواس وأبى دلامة وغيرهم من الشخصيات الأدبية وغير الأدبية . وعبد الحميد الديب – نجح بفضل شخصيته – ذات العناصر المعقدة المتشابكة والطابع المأساوى وتجسيده لروح الصعلكة بمفهومها المتمرد الثائر وبفضل شعره النافذ كالسهام المدببة كأطراف الرماح الوالغ فى الحرمات والتقاليد وكل ما هو سائد ومألوف – نجح فى أن يصبح شخصية شعبية ، يضيف لها الرواة من خيالهم ومن إبداعهم ، ويلفقون له من المواقف والحكايات ، ومن الأشعار التى تُنسب إليه ولا ندرى هل هى من وضعهم أم من تأليفه ما جعل منه مثارا للفضول وإغراء دائماً بالتعرف والمكاشفة تماما كإغراء الفضيحة أو الحكايات العارية لذوى النفوس الراغبة فى المزيد ! .

من هنا فإن مهمة الأستاذ محمد رضوان لم تكن بالسهلة الميسورة ولا أظنه قد وضع بين أيدينا كل ما تركه الديب من شعر ، فبعضه مات بموت من كانوا يحفظونه ويروونه من أصدقائه وندمائه وفى مقدمتهم كان محمد مصطفى حمام وشوقى أمين وطاهر أبو فاشا . لقد كان بعض شعره – لخروجه على المألوف واصطدامه مع الذوق العام والحياء العام – محفوظاً داخل الصدور غير منشور أو مطبوع . ولقد كان هذا الشعر سبب شهرة الديب وذيوع صيته ، وحرص الناس على روايته والتلذذ به ، كما

كان فيه أيضا بعض ذُرى إبداعه وصوره البانخة التى لم يتضمنها شعره المسموح بنشره وتداوله . واختفاء هذه المساحة - غير المستأنسة - من شعر الديب ، ظلم لشاعريته وانتقاص من قدره . لكن ما الحيلة ، والذين كانوا يحفظون ويروون رحلوا ، والذي بقى بين أيدينا لا يمكن نشره أو تداوله . وهو موقف يثير قضية الحقيقة الكاملة فى مواجهة المواءمة . والمواءمة فى حال شاعر كعبد الحميد الديب تضر بشاعريته ضررا بليغاً ، وتُفقد صورته بعض قسماتها الأصيلة وملامحها الدالة . فلنتطلع إذن إلى عصر مغاير ، وزمن قادم يسمح بنشر ما لا يُسمح به اليوم ، وأن يبقى ذلك المسكوت عنه من شعره ، والذي لم يؤذن بنشره ، حياً ومتداولاً بواسطة المشافهة والحفظ الشخصى حتى يجئ أوان رد اعتباره وضمه إلى سائر حبات عقده !

لقد نجح الأستاذ محمد رضوان فى رسم صورة إنسانية وشعرية لعبد الحميد الديب أقرب ما تكون إلى حقيقته .

ولا شك أن قيام المجلس الأعلى للثقافة بنشر شعره محققا مضبوطا ، سيتيح لدارسيه مادة مغرية بالتناول العميق والدراسة الكاشفة والنظر الهادئ المتأمل ، كما سيتيح لقراء الشعر مادة شعرية حافلة مليئة بالتنوع والمغايرة والخروج على المألوف ، لأن صاحبها هو عبد الحميد الديب : الوتر النافر والصعلكة المبدعة !

فاروق شوشة

حكاية هذا الديوان
بقلم : محمد رضوان

لهذا الديوان حكاية . .. . .

في منتصف الستينيات قرأت أول أشعار عبد الحميد الديب حين وقع بيدى مقال للشاعر الكبير كامل الشناوى عن الديب في إحدى الصحف التي كان يكتب فيها الشاعر الكبير ومن يومها رحت أتتبع كل ما نشر عن حياته وشعره في مختلف المصادر والمراجع خاصة مقالات صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان التي نشرها في صحيفة الشعب تحت عنوان (عواء الذئب) في نهاية الخمسينيات ، ورجعت إليها بدار الكتب بالقاهرة فيما بعد .

ثم عندما تركت المنصورة والتحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٦٦ م وجدتها فرصة ثمينة لمراجعة الدوريات التي نشرت للديب وكانت توجد بفرع دار الكتب بالقلعة .

وقد بدأت مرحلة جديدة في حياتي الأدبية حيث جعلت وجهتي وجامعتي دار الكتب فكنت أصعد كل صباح إلى مبنى الدوريات التابع لدار الكتب بالقلعة وأظل أراجع مختلف الدوريات من المجلات والصحف في الفترة من (١٩١٥-١٩٥٠) لأستخرج منها كنوزاً ثرية لأعلام الأدب والفكر وكان اهتمامي الأكبر في هذه الحقبة بثلاث شخصيات أدبية شامخة :

١ – عبد الحميد الديب .

٢ – زكي مبارك .

٣ – علي محمود طه

ولكن كان تركيزي الأكبر على شعر عبد الحميد الديب الذي لم يسبق جمعه في ديوان في حياته أو بعد مماته واضطررت لمراجعة الصحف والمجلات التي نشرت أشعاره في حياته والتي تغطي الفترة من حوالي عام ١٩٢٥ – ١٩٤٣ وهي فترة الإبداع والانتشار للشاعر البائس وكان جل شعره ينشر في مجلات " الصباح " و (أبوللو) و(الرسالة) وصحف (البلاغ) و (الأهرام) و (مصر الفتاة) واستغرق ذلك مني ما يزيد على خمس سنوات كان كل اهتمامي فيها مركزا على كل ما يتصل بحياة هذا الشاعر المنكود وشعره الصارخ الذي كان يدور غالباً حول شكوى الزمان وتصوير مأساة بؤسه ومعاناته وثورته على ما يعانيه من ظلم وافتئات جسد صورها

من واقع حياته البائسة وآلام حرمانه الممض والتى جعلته يتعمق مأساة وطنه مصر فى ظل الاحتلال الإنجليزي والاستغلال الطبقى فأخذ يرسل صواعق غضبه على جبروت الاحتلال وظلم الإقطاع .

ولم أكتف بمراجعة المجلات والصحف التى نشرت للديب قصائده بل رجعت لعدد من الأدباء الذين عاصروه أمثال أحمد حسن الزيات وأنور الجندى وطاهر أبو فاشا .

ثم كانت خطوتى الأول نحو الاهتمام بهذا الشاعر البائس فأصدرت عنه كتاب (مأساة شاعر البؤس) عام ١٩٧٦ ثم وجدت أنه من الوفاء لهذا الشاعر أن أجمع ديوانه خاصة أنه لم يصدر له أى ديوان يجمع اشعاره المتفرقة سواء فى حياته أو بعد مماته .

وكانت المهمة صعبة لكن ما شجعنى عليها هو ذلك الصدى الطيب لصدور كتابى عن الديب فى مختلف أنحاء الوطن العربى حيث وصلتنى العديد من الرسائل تطلب المزيد من اشعاره الشجية ، كما لمست هذا الصدى أثناء رحلاتى لمعظم البلاد العربية .

وبدأت أجمع ديوان الديب من مختلف المصادر والمراجع فتوافر لدىّ العديد من قصائده التى تدور حول حياته ومأساة بؤسه وقصائده الوطنية والسياسية وغيرها ثم وجدت له بعض المذكرات التى تضم اعترافات شاعر يرسل نفسه على سجيتها ويصور فيها بعض معاناته وذكرياته مع الحياة والناس وقد دونها فى سنواته الأخيرة (١٩٤٠- ١٩٤٣) فرأيت أن أضمها فى نهاية الديوان لتكمل صورة هذه العبقرية البائسة وعندما استكملت جمع آثاره الشعرية والنثرية تقدمت به ليطبع فى مشروع المكتبة العربية التابع للمجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) وذلك عام ١٩٧١ .

وأثناء عطلة الصيف تلقيت فى قريتى بالدقهلية رسالة بتوقيع الشاعر عادل الغضبان باسم لجنة الشعر يطلب منى فيها مقابلته بمكتبه بدار المعارف بخصوص ديوان الديب وسافرت إلى القاهرة وقابلت الشاعر عادل الغضبان الذى طلب منى التنسيق معه ومع الشاعرين محمد مصطفى الماحى وصالح جودت بخصوص مراجعة الديوان ...

وبدأت جلسات مطولة مع الشعراء الثلاثة لمراجعة قصائد الديوان وتلقى الملاحظات وتصويب البعض واستبعاد البعض الآخر حتى اكتمل الديوان فى صورته الحالية .

ثم جاء عام ١٩٧٣ بعد أن التحقت بالعمل بمجلة الهلال القاهرية وأثناء لقاء مع

الشاعر محمد عبد الغنى حسن أبدى لى تخوفه من حدوث مشكلات مع ورثته إذا صدر الديوان فسحبت الديوان رغم أن هدفى الأول كان إنصاف هذا الشاعر المظلوم ويعلم الله كم أنفقت من وقتى وجهدى ومالى فى سبيل جمع هذا الديوان على مدى خمس سنوات كاملة صيفاً وشتاء . وسحبت الديوان وظللت أضيف إليه كل ما وجدته من آثار شعرية مجهولة للشاعر البائس . ومرت السنوات . . .

وعندما تقدمت بالفكرة من جديد للمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧ لطبع ديوان (الديب) وجدت تشجيعا من الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة فحزمت أمرى على تنفيذ هذه الفكرة التى طال انتظارها والتى تأخرت كثيراً وأرجع البعض سببها إلى النحس الذى لازم الديب وحظه السئ الذى وصفه بقوله :

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة

هو النسيم سموماً غير خفاق

هو السحاب جهاماً والندى أسناً

هو الضياء به موتى وإحراقى

ولكن أقدمت رغم كل ما قيل عن نحس هذا الشاعر المنكود الذى يذكرنا بحظ الشاعر ابن الرومى ونحسه إيماناً بعبقرية الديب وفنه الشعرى الفريد الذى تحدى به حساده :

زعم العواذل أن سعيى فاشل

والنحس توأم عيشتى ورفيقى

لولا مناوأة الزمان لهمتى

أزرى بنور الشمس نور شروقى

وحين نقدم هذا الديوان وفاء للشاعر البائس عبد الحميد الديب فإنما نقدم أيضاً صفحة تكاد تكون منسية من صفحات شعرنا المعاصر ولونا فريدا من أدب البؤس والصعلكة التى ابتكرها فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب الذى وصفه أحمد حسن الزيات بأنه كان نمطاً وحده فى شعراء العصر الذى كان ظهوره رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين الذين لم تهيئهم طبائعهم للعمل

الكاسب فأخلدوا إلى التبطل وحملوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر والذى لم يعرف الحياة على أنها جد وكد وإنما عرفها على أنها لهو ولذلك قضى حياته البوهيمية لا ينام إلا على المسكر المخدر ولا يستقيظ إلا على الجوع والظمأ .

فإذا كان الزيات قد أدان شاعر البؤس فإن ظروف الشاعر نفسه ومجتمعه قد صنعت منه هذه العبقرية البائسة المنكودة .

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر ، حيث يعده النقاد أبرز شاعر معاصر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعرا فريدا فى زمانه ، وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً . لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركة مع شانئيه ، وتشرده فى الشوارع ، وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، وحوادثه المثيرة فى السجن ومستشفى الأمراض العقلية ، والحانات الرخيصة . كل هذا وغيره رسمه لنا الديب بريشته المبدعة الخلاقة ، فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى عزفت لنا تلك القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان وأشجاها فى شعرنا المعاصر .

لقد حرصت على تناول سيرة هذا الشاعر المحروم ، من خلال شعره الذي أتيح له أن ينشر اليوم كاملاً برعاية المجلس الأعلى للثقافة ، بعد أن عاش محروماً ، وظل شعره منذ وفاته (١٩٤٣) مبعثراً على صفحات الصحف والمجلات وفى ذاكرة معاصريه ولعل شاعرنا البائس كان لديه إحساس قوي بإهماله فى حياته وبعد مماته حيث قال :

لقد جهلوا يومى ولن يكرموا غدى
وياحر قلبى من شقائىَ فى أمسى

* * *

وإذا كان مفهوم الصعلوك هو الفقير الذى يواجه الحياة وحيدا ، وقد جردته من وسائل العيش فيها ، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه فى مواجهة مشكلاتها ، أى بمعنى أدق الفقر الذى يغلق أبواب الحياة فى وجه صاحبها ، ويسد مسالكها أمامه فإن عبد الحميد لم يكن مجرد صعلوك ، بل كان فيلسوف الصعاليك الذى

فلسف فقره وصعلكته وتمرده على الحياة والواقع والمجتمع [1] .

وإذا كان المجاهد الكبير الأديب فتحي رضوان يري أن الديب كان شاعرا موهوبا ، كان جديرا بأى يثرى الشعر العربي فوق ما أثراه بألوان فريدة غير مسبوقة ، وبمعان جديدة غير مطروقة ، لو أن الوسط الأدبى كان أكثر جداً ، وكانت الحياة العامة أعظم حظا من الاستقامة والقوة ، ومع ذلك فقد جاد علينا الديب ، بقطع جميلة ، وضع الديب بها نفسه على رأس معاصريه من الشعراء الذين كانوا فى مستواه ، فإذا كانت الشكوى من الدهر والتململ من ضيق الرزق ، والتفوق على نفسه المرة بعد المرة ، فى وصف فقره وبؤسه ، وهوانه على الناس ، وعدم احتفالهم بشقائه ، هو الموضوع المفضل عنده إلا أنه لم يكن الموضوع الوحيد الذى طرقه فقد تناول أمورا كثيرة ، منها ما هو وطنى ، ومنها ما هو إجتماعى ، ومنها ما هو وصفى ، وكان فيها جميعاً حارا متدفقا وفنانا مبدعا .

ويرى طاهر أبو فاشا أن عزوف الديب عن استكمال دراسته بدار العلوم وخلعه العمامة وطربشته » ، فإنه بذلك قد بدأ مسيرته مع الصعلكة والأنحراف والتشرد والجوع ، واطرد هذا اطرادا عكسيا مع أدبه وفنه ، فكان ينحدر فى حمأة الانحراف ، بينما كان شعره يرتفع ويسير ، واسمه يتألق كشاعر مبدع ، فانحدر وهوى كانسان ، وارتفع كفنان عبقرى !

* * *

وبعد فإن قيام المجلس الأعلي للثقافة بنشر ديوان عبد الحميد الديب إنما هو بمثابة تكريم لهذا الشاعر العبقرى ، وإتاحة الفرصة للنقاد لدراسة حياة شاعر البؤس وشعره الذى فلسف فيه أحزان الصعاليك وبؤسهم من واقع حياته البائسة المكدودة .

محمد رضوان

(١) راجع كتاب فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب / تأليف محمد رضوان – مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

عبد الحميد الديب . . . سيرة حياة
(١٨٩٨ - ١٩٤٣)



فى كمشيش

ولد عبد الحميد الديب عام ١٨٩٨ بقرية كمشيش بمحافظة المنوفية . . ولد لأسرة فقيرة بائسة فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان ! . .

كان والده السيد الديب فلاحا فقيرا متواضعا وكان يعمل فى مواسم القرية واعيادها جزارا ليعول أسرته الكبيرة القانعة ويرد عنها الجوع والعوز .

وألحق عبد الحميد الديب بكتاب القرية فحفظ القرآن وجوده فى فترة وجيزة وكان فتى متمردا عنيفا صلبا له قصص وطرائف مع الشيخ ومع العريف . . وفى تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعرا ساذجاً يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ ومن العريف والصبية يضجون حوله بالضحك وكثيرا ما سببت له هذه المقطوعات متاعب عدة فكان يضرب بالفلقة ولكنه لم يكف عن الإمعان فى هذا المجال الساخر . .

وكان كثيرا ما يستحم فى الترعة وكان ذلك محرما على صبية الكتاب فكان ذلك سببا فى إثارة الشيخ ضده وعقابه بالضرب " بالفلقة " ! .

وبسبب فقر الأسرة المدقع ألحقه أبوه بدكان أحد جزارى القرية ليعمل صبى جزار لقاء قروش قليلة تساعد فى دفع غائلة الجوع عن الأسرة . .

ولكن الشيخ بالرغم من غضبه على عبد الحميد كان يبدى إعجابه ببراعته الفائقة فى سرعة الحفظ وتجويد القرآن الكريم . . .

شب عبد الحميد الديب وهو يرى الفقر يحيط به من كل جانب وترسبت فى أعماقه صور أسرته البائسة وهى تعانى ضروبا من ألم الجوع والحرمان والبؤس .

وفى طفولته كان يشعر بمرارة فى أعماقه وهو يرى نفسه فى الأعياد يلبس ملابس رثه حافى القدمين جائعاً على حين بقية الصبية يمرحون ويلهون وهم يرتدون ثيابا نظيفة وأحذية لامعة ويطلقون الأغانى المرحة الطروب .

وهكذا شب شاعرا حزينا باكيا .

وكانت لأبيه أمنية عزيزة ، هى أن يرى ابنه شيخا مجاورا فى الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرس العلوم ويفسر القرآن لتلاميذه ، ومريديه ! ..

وهكذا اتجه عبد الحميد الديب إلى مدينة القاهرة سنة ١٩٢٠ م ليلتحق بالأزهر الشريف وفى حى الحسين قطن بحجرة متواضعة بحى قصر الشوق . . .

وعاش حياة بائسة فى تلك الحقبة من حياته . .

وكان كثيراً ما ينام على الطوى لرقه حاله وضيق ذات يده . .

وفى الأزهر نهل من تراثه وقرأ أمهات كتب الأدب بالعربى فقرأ الأغانى والأمالى والعقد الفريد والبيان والتبيين وغيرها من شوامخ الكتب فى الأدب العربى القديم ! . . .

ومضت حياته بين دراسته فى الأزهر وكفاحه المرير فى سبيل لقمة العيش وكان صراعا مريرا وقاسياً استنفد جهده ووقته وماء وجهه . .

ثم صمم عبد الحميد الديب على الالتحاق بمدرسة دار العلوم العليا . .

وكان له ما أراد . . .

والتحق عبد الحميد الديب بمدرسة دار العلوم العليا . .

ومضى يقرأ أمهات الكتب ويقرأ روائع الشعر العربى القديم . . ولكنه لم يكن يتقيد بمنهج أو بدراسة بل كان يقرأ ما يحلو له وما يتذوقه فكان يقضى جل وقته بدار الكتب يقرأ ويدون ملاحظاته فى كراسة تلازمه يكتب بها روائع قراءاته فى الشعر العربى . . إلى أن كان ذات مساء . . . ساقته فيه المصادفة إلى بولاق ، وهناك جلس على أحد المقاهى يسترق السمع إلى شخص آخر كان يجلس فى الركن المقابل يلوك فى فمه شطرة من أغنية تقول : والله تستاهل يا قلبى . .

وظل يرددها عشرات المرات ولا يتمها ولاحظ الديب ذلك .. فتقدم منه وقال له بلا مقدمات :

– اقترح أن تتمها هكذا :

والله تستاهل ياقلبى ليه تميل ما كنت خالى

أنت أسباب كل كربى أنت أسباب ما جرالى

وكاد الرجل يطير فرحا فقام من فوره واحتضن عبد الحميد الديب وراح يغمره بالقبلات وقدم له نفسه فإذا هو سيد درويش ! . .

الطلل الباكى ! . . .

ودخل الديب فى دور جديد من أدوار حياته . . .

وجد سيد درويش فى الديب ضالته المنشودة . . .

وكان سيد درويش مسرفا سخيا فأغدق على الديب . .

ونسى الديب دار العلوم وانتقل إلى قصر فخم وبدأ يزاول حياة الترف والنعيم ولم يدرك الكارثة إلا يوم مات سيد درويش فجأة فى سبتمبر عام ١٩٢٣ . . .

فانقطعت بالديب أسباب الرزق وترك القصر ليقضى لياليه متسكعاً فى الشوارع هائما طول الليل حتي إذا ما انتهى به الطواف ذات ليلة عند القصر الذى كان يقطنه أيام سعادته وقف يناجيه بمرارة :

لـو أســـتطيع الـبكا ياأيهـــا الـطلـل
بـكيت حـــتى شـكـت من دمـــعى المقـل
أرى الحـــوادث آســـادا مـــقـــذفـــة
عـلىّ دون الـورى تعـــدو وتقـــتـــتـل
فكـم تصـــوّح عـــودى بعـــد نضـــرته
وكم خـــبـــا فـى دياجى عـــمـــرى الأمل
وكـم دعـت لى أمـى وهـى بـاكـــيـــة
وكـم دعـــا لـى أبى يـقظان يبـــتـــهـل
وأجلـس الليل فـى صـــحـــبى أســامـــرهم
وكـلهـم بمجـــالـى رقـــتـى حـــفـل
حـــتى إذا سلمـــوا لـلعـــود وانـصـــرفـــوا

سـريتُ جـوعـان يفـرى عـزمى الكـلل
كـأن حظى رحـيق الـدهر يشـربهـا
بكـرا مـعـتـقـة ، والـدهر بى ثـمل . . !
فـإن تطـلبتُ عـيـشى متُّ من كـمـد
وإن تطـلبتُ حـينى يـبـعـد الأجل (١)

وكانت تلك الصدمة العنيفة القاسية هى أولى الصدمات التى واجهت عبد الحميد الديب فى القاهرة وتركت فى نفسه آثارا قوية وشعورا عميقاً بالأسى والمرارة والسخط ! . . .

---

١ – أبوللو / أكتوبر ١٩٣٣ .

البائس ! . . .

وأصبح الديب شريدا صعلوكا من صعاليك الشعراء بلا مأوى . . يذرع شوارع القاهرة ليله جميعاً حتى ينال منه التعب فإذا أذن المؤذن للفجر هرع إلى المسجد ليتظاهر بالصلاة لينام ويصور لنا الديب تلك الحقبة من حياته في قصيدتة الرائعة : كيف أعيش ؟ . . يقول فيها :.

نهـــارى إمـــا نومـــة بين مـــســـجـــد

غـــــرارا وإمــــــا بالـطـريـق تـسـكـع

وأطوى عــصىّ الـليل فى الـقــرســاعــيــا

ومن أيـن للأفــــاق فى الكون مــــهـــجع

أصـلـى بـأذكــــــار المرائى وقـلـبــــــه

وبئس صـــلاة يحـتـــويهـــا تصنع ! . . .

وبدأ الديب حياة الصعلكة واللجوء إلى طلب المنح والعطايا من ذوى القدرة ومن الطرائف تلك القصة فى أحد مواقف الديب مع أمير الشعراء أحمد شوقي . . . كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء وكان الديب يصاحب زميلا له في محنته قضت المصادفات بأن يشاركه في ليله ونهاره فكلاهما غريب لا أهل له ولا سكن وكلاهما مهاجر بين أقطار الأسى لا يجف له دمع إلا إلى مدمع .. وظل الصعلوكان يذرعان الطرقات بلا جدوى وبلا أمل فى طعام ومأوى حتى مرا على (صولت) ندىّ أمير الشعراء أحمد شوقى ومجلس صحبته وحاشيته فقال الديب لصاحبه :

إن هنا من لو شكونا إليه لمسح دموعنا !

قال رفيقه فى البؤس : وى ... أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر ؟ ..

قال الديب :

- إنه أمير الشعراء شوقى بك !..

وعمد الديب إلى ورقة من أوراق جيبه فكتب فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال   وقد تغرب لا أهل ولا مال ؟

ومضى الديب إلى شوقى متعمدا مخاطبة شوقى بالباشا إذ كان يهمه أن يصل بأميره إلي القمة من غير شك وما كاد شوقي يأتى إلى البيت حتى وقع تحته توقيعاً طرب له الديب وضمن له أن يأكل أكلة دسمة فى تلك الليلة مع رفيق بؤسه ! ...

فى جحر الديب

وقطن عبد الحميد الديب فى غرفة صغيرة بلا أثاث ولا فراش فى حى الحسين وكان يطلق على تلك الغرفة (جحر الديب) ! .....

ويرسم لنا عبد الحميد صورة طريفة لغرفته فى قصيدته التى يقول فيها :

أفى غـــرفـــتى يارب أم أنا فى لحـــدى ؟...

ألا شـــدّ مــــا ألقـى من الـزمن الـوغـــد

وهـل أنا حى أم قـــضـــيت ؟ .. وهـذه

إهابة إسـرافـيـل تبـعــثنى وحـدى ؟ . .

لقـــد كـنت أرجـو غـرفـة فـأصـبـتـهـا

بناء قـديم العـــهـــد أضـيـق من جـــدى

فـــأهدأ أنفــــاسى يكاد يهـــدها

وأيســـر لمس فى بنايتــــهــــا يُردى

أرى النـمل يخـشى الناس إلا بـأرضـهــا

فـــأرجـله أمـــضى من الـصـــارم الهندى

تســاكننىَ فـيـهـا الأفـــاعى جـريئـةً

وفى جـوهـا الأمــراض تفــتـك أو تعــدى

تـرانى بـهـــا كل الأثـاث فــمــعطفى

فـــراش لـنومـى أو وقــــاء من الـبـــرد

وأمـــا وســاداتـى بهـــا فـــجـــرائد

تجـــبدد إذ تبـلى عـلـى حــجـــر صلـد

تعـلمت فــيـــهــا صـبــر أيوب فى الضـنى

وذقت هـزال الجــوع أكــثـــر من غـــاندى

جـــوارك يـاربـى لمثـلـى رحـــمـــة

فـــخـــذنى إلـى النيـــران لا جنـة الخـلـد

وكان الشاعر البائس عبد الحميد الديب يعجز عن سداد إيجار غرفته المتواضعة على الرغم من ضآلته حتى أصبح صاحب البيت عدوا بالنسبة له وكان الشاعر يلقى صنوفا من الإذلال والمهانة بسبب مماطلته فى تسديد الثمانين قرشا أجـرة الغـرفة التى يسكنها وقد صور ذلك فى قصيته التى يقول فيها :

ثمـــانون قـــرشـــا أهلكـتنى كـــأنهـــا

ثمـــانون ذنبـــا فى ســـجـل عـــذابى

طويـت لهـــا الدنيـــا ســؤالا وكُـــدْيَةً

فـــمـــا ظـفـــرت نفـــسى برد جـــواب

لـعنـت كـــراء الـبـــيـت كم ذا أهـنـتنى

وأذلـلـت كـــبـــرى بين كـل رحــــاب

لأجلك إمـــا أن أبـيع كـــرامـــتى

وإمـــا أفـــديّهـــا ببـــيع ثيـــابى

فـــفى كل شـــهـــر لى عـــواء بموقف

يـــاعـــد عنى أســـرتى وصـــحـــابى

وطول ليـــالى الشـــهـر تهـتـاج مضجعى

مـــخـــافـــة رب البـــيت يطرق بـابى

يطالبنى فى غلظة فـــأجـــيـــبـــه

إجـــابـة من يرجـــو يداً ويحـــابى

ألا مـــســـكن ملكى ولـو بجـــهـــنم

فـــأكـــفى من الأيـام شـــر حـــســـابى ؟

وقد سأله أحد أصدقائه ذات يوم : كيف أنت ياديب والدنيا اليوم ؟ فقال الديب فى تهكم :

يقولون إنها ابتسمت لى ! .. فقال الصديق : إذا فرض أن الحياة أقبلت عليك وفتحت ذراعيها وابتسمت لك كما يقولون وشعرت بابتسامتها فما موقفك منها إذ ذاك ؟ ..

فقال الديب فى آهة حزينة : أؤكد لك أن الشقاء يلازمنى فأفارقها ! ... وكان الديب لا يملك إلا حلة واحدة رثة مهلهلة واتفق ذات مرة أن خلع عليه أحد أصدقائه حلة جديدة ولعلها المرة الوحيدة فقال له الشاعر كامل الشناوى مداعباً :

أراك متنكرا يا ديب ! ..

وكان الديب قد شرع قبيل وفاته في جمع قصائده فى ديوان أزمع أن يسميه (ثورة المحروم) ولكن الموت لم يمكنه من تحقيق أمنيته .

الديب ... والخمر

اندفع الديب إلى الخمر ينشد فيها السلوى والنسيان بعد أن قوبل بضروب من الجحود والانكار وأساليب شتى من العدوان والافتئات وكان يسعى إلى الحصول على بضعة قروش ليقضى بها شطرا من الليل فى حى الزهار وشطره الأخر بين الكأس والوجوه المليحة فى حانة (الحاخام) بحارة اليهود خلف حى الموسكى وكان يعيش ساعات على حد قوله فى مثل أطياف الجنة .. فقد كانت الحانة فردوسه المنشود فإذا أستبد به الخدر ارتمى تحت حطام منزل مهجور أو استلقى فى ظل جدار متداع يحلم بالسعادة المنشودة والمجد الموهوم ويسبح فى خيالات وأوهام ساحرة مفعمة بالنشوة والسعادة والجمال ...

ثم يستفيظ فيصطدم بواقعه الجهم وحياته المجدبة فيشكو ويسخط ويتمرد ! .. ويهتف الديب بفلسفته الأبيقورية الماجنة فى تلك القصيدة الجريئة الصارخة : [1]

هات المدام فـدين الله تيـسـيـر
وأسـعـد الناس مـخـدور ومـخـمـور
هات المدام ولا تعـرض لمتـربتى
مـهـمـا غـلا العـيش لم تـغل القـوارير
فـديتـهـا حـانة الحـاخـام هـادئة
سكرى يعـربد فـيـهـا الحـسن والنور

ويرسم لنا شاعر البؤس صورة نثرية طريفة عن بعض نوادره فى حانة الحاخام التى كان يرودها بأسلوب مشرق رقيق جذاب ...

كتب الديب تحت عنوان (الخمر والشعر) يقول :

(ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة : نحن أبناء الأعيان .

---

(١) – مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

« بلى ... إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس منى ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق . ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون : شاعر البؤس .. (ولا أكذبك أننا جميعا كأننا خلقنا لوجه الكأس والشيطان أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس ...

(لقد استيقظ الساقى وفى هدب عينيه بقية نوم وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها وما فينا باخل أو ضنين كل على صديقه ..

(لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية .. تخيلوا أنها ستكون أغنية الجيل ..

(واذا فتشوا لى سريرتهم فى موقفى وأرادونى على القول عييت حتي عن نظم سطر واحد من بيت . لقد حسبوا أن الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة .. (لا .. لا ... هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحي والالهام) تناوبا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى أغفو سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتاً أو أبياتا وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حال أشبه ما تكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب ...

« وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التالية ومطلعها : (١)

كلما أقبل ليل أو نهار
شاقنى العهد وشاقتنى الديار
وشجانى سحره هذا المزار
والليالى الخرد الغيد النضار
بعد طول البين هل يجمع شمل ؟
هو نار هو وجد هو قتل
ياحبيبى كيف أنجو كيف أسلو ؟

(١) - مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

لقد نجحت فى نظم القطعة ولكننى نظمتها وأنا صاح غير مخمور

الحق أن الخمر عدو للشعر ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى في حالة السكر)

هذا هو رأى الديب فى الشعر والخمر ...

وللديب قصيدة طريفة بعنوان (فى الحانة) يقول فيها :

يـاحـــانـة مـن طلاهـا تـشــرب الكـاس
وفـى دجـنّتــهــا لـلـقـلـب إيـنـاس
شـــذى المدام وأرواح الـســقــاة لهـــا
كـــالـروض عطّره الـنســريـن والآس
يـاشـــادنـا فـى يـديه الـكـأس فــاتـنـة
كـــأنمـا خـــمـرها حــب وإحــســاس
إلىّ فـــاتـنـة الندمـــان واسـتـبـــقى
هـذا الـغـــزال فـــمنك القــدّ مــيــاس
والـنهـــد ؟ .. ياويـلـتـى من حـــالم هـزج
إلـى الـتـــوثـب مـنـه يـرفـع الـراس
يـالائمـى فـى الطـلـى أفـــرغـت مـنك يـدى
فـــأنـت فـى حــرمـــات الخلـد دســاس
قل لـلخلـين من يصـحـون مـن غــسـقى
أنـتم عـلـى طـهــركم بـالماء أنجـــاس

كل العباد سكارى فى معيشتهم
والسكر كالخلق أشكال وأجناس

وقد تعرض الديب كثيرا للسجن بسبب إسرافه فى السكر ولم يكن يخاف شيئا إلا الشرطة فكان ينكر فى حرارة أنه يتعاطى الكوكايين بالرغم من إدمانه له وراح يبث شكواه عندما نعي عليه بعض الناس إغراقه فى السكر ومعاقرة الخمر وشم الكوكايين فى قوله :

أفاطم إن الناس قد أكلوا عرضى
وبت لعيناً فى السموات والأرض
يقولون شمّام وما شمّ معطسى
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغض
معاذ شبابى أن يبيت تضيره
هشيما وأن أقضى على جسمى البضّ
أأيس بياض الكوكايين مبشرا
بأسود عيش فى غياهبه أقضى

وهكذا اندفع الديب إلى الكأس وإلى شم الكوكايين وإلى حياة الليل والصخب والعربدة وراح يذوب تدريجيا حتى أشرف على النهاية ....

الديب ... فى السجن ! ...

دخل الشاعر البائس السجن غير مرة بتهم مختلفة منها التشرد والصعلكة والسكر البين وعدم أداء الحساب وشم الكوكايين والعربدة ! .. وله فى كل ذلك قصائد كثيرة وكان يخالط فى السجن الشذاذ والأفاقين وعتاة المجرمين فنظم قصيدة يصف السجن يقول فيها :

له بفؤادى لذة ووجيب

ومنه لـقـلبى بلـسم وطبـيب
مـلأت به الـدنيـا هـوىً وصـبـابة
وهـلهـلت فـيـه الحب وهـو جنيـب
ومـا صـدَّ عـنى أو لوى دون حـاجـتى
ولكـن أخـلاق الجـمـيل غـريـب
تـهـدهده كـالطـفل إن أنّ أوشـكا
ويغـرى بـك الأشـجـان وهـو طروب
لقـد شـبـعت فيّ الأعـادى شـمـاتةً
وبت ومـالى فـى الوجـود حـبـيب
وأصـبـحت مـسـجـوناً بدار بـعـيـدة
تجـافى بهـا خلّ وبان قـريـب
أأصـبح مـسـجـونا ومـا كنت مـذنبـاً
ولا حـزبتنى فـى الحـيـاة ذنوب ؟
وإخـوان سـجـن قَـبَّـحَتْ من وجـوهـهم
هـمـوم تَـوالى دائـمـاً وخـطوب
فـمنظرهم أضـحـوكـة كلبـاسـهم
ومـخـبـرهم فى الحـادثات رهيب
بـنو آدم من حـولـنا أم عـقـارب

لهـــا فى الحـشـــا قـــبـل الجـســـوم دبيب ؟

لقـــد كنت فـــيـــهم يـــوسف السـجن صـــالحـــا

أفـــــســـــر أحـــــلامـــــا لهم وأصـــــيـــب (*)

وكان دخوله للسجن مادة ملهمة لشعره المفعم بالألم والحزن والمرارة مما أضاف لشعرنا العربى المعاصر لونا جديدا وطريفا قل أن يوجد له نظير أو شبيه ! ...

(*) مجلة الصباح ٢٦ يونيه ١٩٤٢

فى عالم الجنون ! ...

اقتيد الديب ذات مرة للسجن بتهمة السكر والعربدة فسأله الضابط :- ماذا تكون اليوم ؟ ...

فأراد الديب أن يبرهن له أنه فى تمام وعيه وإدراكه فقال :

- اليوم السبت وغدا الأحد وأمس الجمعة وبعد غد الاثنين ! ... فظن الضابط به الجنون فأمر بتحويله إلى مستشفى الأمراض العقلية وكان الديب فى تلك الحقبة فى حالة يرثى لها .. فقد كان إنسانا محطما غائباً عن وعيه لا يكاد يفيق ولكنه على أية حال لم يكن مجنونا . .

وقد استلهم الديب من هذا المستشفى قصيدة ساخرة يقول فيها :

رعــــاك اللـه مــــارســتـــــان مــصــــر
فــــــإنـك دار عــــــــــقـل لا جـنـون
حـــــويـت الـصـــابـريـن عـلى الـبــــلايـا
ومــن نــزلــوا عــلــى حــكــم الــســنــين
ومـن هـبـطـوا بـهـم من صـــــرح عـــز
إلــى أغـــــــــــــلال إذلال وهــون
تـراهـم خـــــائـفـين فـــــإن أثـيــــروا
بـهــــزلة فــــآســـــاد الـعــــريـن
وإن ســـــئلوا عـن الأســــرار كــــانـوا
كـــــــمـن أخــــــذوا عـن الـروح الأمـين

(*) - مجلة الصباح / ٢٦ يونية ١٩٤٢

وربَّ مـــــهـــــرج منهم بقـــــول
يـريـك الجـــــد فـى ثـوب المجـــــون
فـــإن يـغـضـب بقـــارصـــةٍ تبـــاكى
فـــأبـكى الـعين بـالـدمع الـهـــتــــون
يـعـــــذبه عـــبـــــادك كـل يـوم
ويـصلى الضـــيْم حـــينـا بعـــد حين
وكـم فى مـــصـــر من غِـــرّ غـــبىٍّ
تمتع بالجـــــمـــــيل وبالثـــــمين
ولـو عـــدلـوا لأمـــسى خـــانكيـــا
يعـــذب بـالشـــمـــال وبـاليـــمين (*)

وكانت للفترة التى قضاها البيب فى المستشفى آثار حسنة بالنسبة للشاعر البائس فقد استرد صحته وكاد ينسى المخدر ... وعاد لوعيه من جديد ...

(*) - الصباح - ١٩ يونية ١٩٤٢

ثورة المحروم ! ...

قوبل الديب بضروب شتى من الجحود والغَبْن والانكار ، فى أساليب شتى من العدوان فصور عراكه مع شانئيه ووقوفهم له بالمرصاد وإقامتهم العقبات فى سبيله :

إذا قـلت قـــديس يقــــولـون ســـــادر
وإن قـلت حىّ يحـــــملونى إلى رمـــــسى
تحـــديت أيامـى وقـــومى بـوحـــشـــتى
وكــم وردوا مــــنــى مـنـاهــل لــلأنــس
لقـــد جـــهلوا يومـى ولن يكـرمـــوا غـَـدى
ويـاحــــر قلبى من شـــقـــائىَ فى أمــــسى

وهكذا يبدو لنا جليا يأس الشاعر المرير من قومه فهو لا يطمع فى أن يكرموا غده ماداموا قد جهلوا يومه وأنكروا أمسه .

وانقطعت بالديب أسباب الحياة العائلية المطمئنة ، فهو يشعر بغربة موحشة ولاسيما فى الأعياد والمواسم . . .

كانت أقسى أيام تمر على شاعر البؤس فى القاهرة هى أيام الأعياد فقد كان يرى جيرانه يرتدون ملابس جديدة نظيفة وأحذية لامعة ويتزاورون فى طرب وبهجة وسرور يشهد الشاعر ذلك وهو ذاهل عن نفسه ويتلفت فيرى نفسه : رثاثة وإفلاس وأحزان وغربة ووحدة ودموع !

ويصف لنا فى يوم العيد كيف تجافاه الناس ونبذه الأهل والأحباء :

من زائـرى بالـعـــيـــد ؟ من بـالبـــاب ؟
وهمٌ فـــقـــدتُ به رشـــيـــد صــــوابى
مـن ذا يطـالع ســـحنةً مُـــغـــبـــرةً

فكأنهـــا لعنت بكل كــتــاب

والناس مهـما أسعدوا فى عيدهم

صرعى خراف فى سعار ذئاب

وكان العيد يقبل دائماً والديب مفعم بالمرارة والحسرة والألم بسبب شدة فاقته وبؤسه وشعوره بالغربة الموحشة وسط أمواج الفرحة والابتهاج والطرب فى العيد . . .

فكان يستقبل العيد بمثل هذه الأبيات الحزينة الباكية :

عيد يطالعنى والعيش منكود

لأنت يوم الأسى والحزن ياعيد

يجدد الناس من لبس ومن فرح

وعندنا للأسى والهم تجديد

المسلمون وقد عشنا خيار همو

كأننا بينهم فى عيدهم "هود"

لو أنصف الناس ما ضحّوا بشاتهمو

بل كان قربانهم للمعتفى جود ... ؟

ولشاعر البؤس طرائف كثيرة فى أيام الاعياد أروى واحدة منها :

كان للديب صديقان جند الدهر لهم ثالوثا من البؤس والعطل وعدم السكن والاشتغال بالأدب ولقد تواصوا أن يقسم كل منهم ما يصيبه بقلمه أو بغير قلمه من الرزق بينه وبين صاحبيه وأقبل عيد الأضحى فهاجر كل منهم فى الجهاد لكسب المال حتى يمكن أن يشاركوا الأمة فى مهرجانها بالعيد ! . . .

وسوّلت للديب نفسه ثم صحت عزيمته على أن يكون سمسارا فى سوق الخراف ورأى الجو مهيئاً للاشتغال كوسيط فى توصيل النعاج والخراف إلى حوزة الموسرين الذين يعدون العدة لمسرات العيد بخروفه المحبوب !

ووقف الديب فى حلقة باب الخلق بحلته الأفرنكية يغشاه بعض الحياء قبل مزاولة العمل ثم أقدم وأخذ يتابع المساومة لأحد المشترين الأثرياء من المعلم محمود بأوصاف تحسين للخروف وإطراء لذمة المعلم ومع أن هذا الخروف كان كالكبش العجوز فقد نعته بأنه لم تمض على ميلاده أشهر ..

وكلما قال الديب كلمة نظر إليه البائع نظرة الجاهل بمأربه وأنكر المشترى مبالغته فى نعت الخروف والحق أن الديب أكثر من الثرثرة التى لم يراع فيها كبرياء البائع ولم يراع فيها كذلك رغبة المشترى في رخص السلعة ! ..

فصاح المعلم فى غيظ وحنق فى وجه الديب :

– وما شأنك أنت ؟

فقال الديب :– أنا سمسار ... سمسار هنا ! ..

فقال المعلم :– إنى لم أرك قبل اليوم فى أى سوق من أسواق البهائم !..

فتمسك الديب بدعواه واستعدى التاجر عليه اخوانه الذين أنكروا وجود مثل الديب إلى جوار الخرفان وأخيرا نادوا الشرطى فجاء ومعه مخبر الحلقة فى ثوبه التنكرى وطلب من الديب إبراز رخصته وإثبات شخصيته وعمله فأسقط فى يد الديب فهو لا يملك رخصة وليس له من عمل اللهم إلا تلك القصائد التى كان لا يدرى طريقا للانتفاع بها .. وأخيرا سيق إلى الشرطة وكلهم مرتاب فى أمره وكلهم متمسك بوجوب التحرى عن حقيقة ذلك السمسار المجهول الدخيل ! ..

وحين عرف الضابط الدعوي وسمع من عبد الحميد الديب دفاعه عن نفسه ضحك ضحكا جهيرا متواصلا إذ كان يعرف الديب من بعض المواقف السابقة التى جمعته واياه ثم قال : اتركوه لى .. وسأعرف شغلى معه ! ..

وأجلسه وأكرم وفادته ثم صرف الديب بعد أن نصحه بالبعد عن مواطن الشبهات ! ..

وذهب الديب إلى فندقه الذى تواعد هو وصديقاه على المبيت فيه وقد كان من فنادق الله المباحة ، كان مسجدا مجاورا للأزهر ! ..

وألفى صديقيه يرتقبان عودته لعله يكون قد أصاب قروشا تدفع عنهم غائلة الجوع وإذ أبصراه مطأطئ الرأس على غير عادته عرفا كل شئ وتأكدا أنه على مثل حالهما من المسغبة ! ..

وجاء صباح اليوم التالى والديب قد أظلمت الدنيا أمامه يرى الناس حوله فى

ثيابهم الجديدة المختلفة الألوان يضجون بالتكبيرات التقليدية المعروفة ينظر إليهم كأنه غريب عنهم وإذ انتهى خطيب المسجد من خطبة العيد وقف عبد الحميد الديب على أثره وأنشد هذه الأبيات :-

ياذابحى الشـــاة فى أفـــراح عـــيـــدكم

هلا بعـشــتم لـنا من طـبـخــهـــا المرقـــا ؟

يـالابـسين جـــــديدا مـن ثيـــــابكـم

هلا بـعـــثـــــتم لنا المتـــروك والخلـقـــا ؟

ردوا عـلـيـنـا شـــبـــــاباً كـم ذوي وذوى

وشـــيـــبكم يانـع يســقـــيكم غـدقـــا !

ولم يفهم الناس على أصح تقدير مـا يرمى إليه الديب ... فانصرفوا ! ... وبقى الديب على حصير المسجد طول اليوم ، يوم العيد يأكل الهم والهم يأكله ! ...

وهكذا انقضى هذا العيد الحزين على شاعر البؤس ! ..

وكان فى الأعياد يردد دائماً قصيدة المتنبى الشهيرة :

عـــيـــد بأية حـــال عـــدت يـا عـــيـــد

بما مـــضى أم لأمـــر فـــيك تجـــديد ؟

ومن طرائف الديب .. أنه كان جائعا ذات ليلة ... وأشرف على الموت جوعا ... فتلفت يمينا ويسارا عن أي شئ يقتله أو يأكله .. وشاهد مطعما شعبياً فى الحى الحسينى على وشك الإغلاق ، فدخله مقتحماً ، وهو منكوش الشعر منتفخ الأوداج أحمر العينين وصاح فى صاحب المطعم :- هات فرخة بأرز وخضار وموز وبرتقال ! .. وراح يطلب عدة أصناف والرجل يحملق فى وجهه بذهول فصاح الديب به :

- بسرعة .. وإلا أحرقت لك المطعم ... وسلقتك فيه ! ...

فأسرع الرجل خوفا على حياته وعاد بكل ما ذكر الديب فالتهم كل ما طلبه فى زمن وجيز وحان وقت الحساب ولم يكن مع الديب سوى قرشين فقط ، فأخرج مطواة

كبيرة من جيبه وأخذ ينظف بها أسنانه والرجل يلاحظه فى ذعر من بعيد ثم التفت الديب إليه قائلا :– هل تعرف صاحب المطعم الذي أمامك ؟ .. إنه لص ونصاب .. بالأمس أكلت عنده وكان الأكل مثل ما أكلت اليوم وأكثر قليلاً .. أتعرف كم طلب اللص ؟ عشرة قروش فقمت إليه وقطعت أذنيه وأطعمته إياهما ! ..

فتحسس الرجل أذنيه في هلع وذعر ثم قال الديب بعد تمهل :

– كم حساب هذا الطعام ؟ .. فأجاب الرجل فى ذعر :– كفى يابك قرشان !

فدفع الديب قرشين وخرج يتهادى فى زهو وإعجاب ! ..

* * *

ولكثرة ما صادف الديب من الهوان والأذى وكواذب الامال والعهود والوعود تأكد لديه أن الناس قد أجمعوا أمرهم على حربه ومناجزته ، حتى ليخفوا نوره كلما حاول اظهاره ولكنه مع ذلك لا يري فى الناس عدوه الحقيقى ، وإنما هو الدهر ذلك العدو اللدود وما الناس إلا آلات للدهر تستجيب لكل ما يأمر به من إيذاء وتعذيب للديب ! ..

وهذا تجسيم للوهم ولكن الديب كان يؤمن به إيمانا قويا عارما ! ..

وكانت للديب طرائف كثيرة مع أصدقائه .. وكان من عادة الديب أن يجلس فى مقهى الفيشاوى بحى الحسين وكان يطلق عليه « الحى اللاتينى » كما أنه كان يجلس على بار اللواء مع أصدقائه من كبار الشعراء والأدباء .

وكتب أحد الأدباء سنة ١٩٣٤ فى إحدى المجلات يقول عن الديب ساخرا :

(ودعنى أحدثك عن شاعر ضئيل الجسم ناحله ، شاحب اللون حائله ، يابس العود ذابله ، قد ارتسمت صفرة الموت على وجنتيه ، وأطل عزرائيل من فتحات عينيه وضؤل جسمه بقدر ما ضؤل اسمه ، فلو اشتدت به الريح فى يوم عاصف لهصرت عوده كما تهصر أعواد الشجر أو ذرت جسمه كما تذرو الهشيم والمدر ، وعلى ثيابه من الأقذار والغبار ، ما يكفى لسد آبار وردم أنهار ، وهو مع ذلك يرى أن الأرض لم تحمل أجمل منه شكلا ولا أخف ظلا ويحسب أن الله إنما أبدعه سحرا للناظرين ، وفتنة للعالمين ..) قرأ الديب هذا المقال فجاء ثائرا إلى مقهى الفيشاوى حيث كاتب المقال وهو يكاد يتميز من الغيظ ، وجعل يرفع ذراعيه فى الهواء متوعدا وقال :

– والله لأنتقصن أطرافكم ... والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب !

حتى إذا ما عمد أصحابه إلى إرضائه بوسائل الإرضاء المختلفة التى كانت هيّنة

عليهم ضحك وعاوده المرح والسرور ، ثم ما لبث أن تقلص وجهه وكاد الشرر يتطاير من عينيه ، وانتحى بنفسه وبقلمه وأوراقه ناحية ، وكتب هذه الأبيات التى تفيض أسى ومرارة :

تملون من وصلى ويغضبكم صدى
فواحيرتى بين العداوة والود
عداوة ذى حقد وودّ منافق
أأحيا صريعا للنفاق وللحقد ؟..
شربت كلا الكأسين سمّاً وعلقماً
فلاعون من إلف ولا رفق من ضدّ
ويلهو بى الأقران لهوا كأنما
أنا الكرة الهوجاء تخطفها الأيدى ...

وكان بعض معارفه يتخذون منه ملهاة وهدفا لفكاهتهم وسخريتهم .. فذات يوم دعاه بعضهم إلى طعام ثم أخلفوا موعدهم وتناولوا الطعام دونه ، ثم جعلوه حديث المائدة وفكاهة المجلس ، فبلغه ذلك فنظم هذه القصيدة اللاذعة :

حظى ومصرعه فى لين أخلاقى
وفيض عطفى على قومى وإشفاقى
ومن حبته الطّلا أخلاف نشوتها
عدا على الكأس طورا أو على الساقى
بين النجوم أناس قد رفعتهمو
إلى السماء فسدُّوا باب أرزاقى

ثم يشير إلى مجلسهم وطعامهم وما تناولوه من الحديث عنه فقال :

لم أدّر مـــاذا طعــــمــــتم فى مـــوائدكم
لحم الـذبيـــحـــة أم لحـــمى وأخـــلاقى ؟ ..

زواجـــــه ! ...

تزوج الديب فى صيف سنة ١٩٣٩ من أرملة شابة تدعى السيدة إحسان أحمد كانت تقطن الطابق الأعلى الذى به حجرته وكانت امرأة وحيدة تعول طفلين أعجب بها الديب وأحبها ودعا الديب أصدقاءه إلى حفل عرسه فظلوا وقوفا فى الحجرة الخالية من المقاعد وكان الديب يرتدى ملابسه الرثة البالية وقدمت جارة عجوز للضيوف قهوة سادة فشعر الديب بالمرارة والأسى فنظم قصيدة « فى مأتم عرسى » :

لقـــد عللتنى بالرضـــا عن خـــصـــاصـــتى
وقـــالت مـــعـــاذ الصـــبـــر أن أتـألما
فلـمـــا رأت مـــبكـاى ريعـت وأقـــبلـت
تبكى مـــعى عـــيـشـــا وحظا نجـهـــمـــا
فـــيـــالـك عـــيـشـــا كلمـــا هم صـــاحب
يواسى عليـــه هـلهل الـدمع مـــرغـــمـــا
أقـــام لى الأصـــحـــاب عـــرسـا فـــمـــذرأوا
به مـــحـنتى تـشـــدو أقـــامـــوه مـــأتما
ولسـت بمخـــتـــار الـشـــقـــاء أو الهـنا
فطـول حـــيـــاتى أشـــرب الكأس منـهـــمـــا

ولم تمض به أشهر حتى برمت به زوجه (إحسان) بسبب حظه العاثر وبؤسه واندفاعه إلى الخمر والمخدر يدفن فيهما همومه وضاقت يد شاعر البؤس عن إعالة زوجته وطفليها بالرغم من محاولاته لإدخال البهجة والسرور على أسرته الصغيرة إلا أن حياته العائلية كانت مضطربة قلقة ورغبت زوجه إحسان فى الطلاق ، فنظم الديب هذه القصيدة الباكية الحزينة (*)

(*) الصباح - ١٥ مايو ١٩٤٢

أجــــدك أضنانى حـــــديث رحـــــيلى
ومــا غـــيـــر يوم البــعث يوم قــفــولى
ظننتُ مَــتــــاع العـــرس يبــقى إلى غــد
وأنَّ بُكورى بينه ومــــــقــــــيلى
وطـوَّفتُ بـالأحـــلام نشـــوان ســـادرا
لـعــلــى بـلــذاتـى أبــلُّ غـلـيــلى
لقـــد رضـــيت بى بعلـهـــا ، وكـــأنـهـــا
تـطـلَّبت البـلـوى بكل ســـبــــــيل
رأت فـــجـــأة كـــأسى تفــيض لـكأسـهـــا
مـــعـــيــشـــة أفّـــاق وضــعف ذليل
فـــقـــالت وألفت ســحتنى فى تغــضُّنٍ
مـــعـــاذ الرضـــا أن يُســـتــشـــاط حليلى
فـــقلت حنانيك اغــفـــريهـــا جـــريمة
فـــمـــا عُـرفَ الـشـيـطان زوج بتـــول ! ..
رأيـتـكِ لم يـخلـق ســـواك فـــريدة
تفـــردت فى حُـــسن وفـــيض قـــبـــول
فـــأقـبلتُ لصـــاً للجـــمـــال أصـــيبُـــه
وبعض المنى يُرجى بغـــيـــر عـــقـــول

فأصبحت قرباناً لحبي وفاقتي

ضحية عهد بل ضحية جيل

ولم يستطع الديب الوفاء بمتطلبات أسرته الجديدة ، فاضطر مرغما لطلاق زوجته وقلبه يبكي قبل دموع عينيه :

على الرغم مني أن أطلق زوجتي

ومالي بها في الكون أي بديل

ولكنني أخشي على الحسن فاقة

فما اخضرَّت الدوحات بين مَحيل

إذا قلَّ مالي في هواها فإنما

وفائي لها في العيش غير قليل !

وطنية عبد الحميد الديب

عاش الشاعر عبد الحميد الديب فى ظروف اجتماعية وسياسية سيئة . رأي الاحتلال الانجليزى وثار عليه ... ورأى الظلم الإجتماعى وتمرد عليه ... ورأى الجبن والخور من الحكام وضاق به .. ورأى تكالب الأحزاب على السلطة والحكم وقاومه ... كان ذلك فى الثلاثينات وفى بداية الأربعينات ... كان متمردا أبدا ... ثائرا دوما ... وهكذا ثار الديب على كل تلك الأوضاع السيئة بعنف وقوة عارضة لا يرهب قوة باغ أو بطش أثيم ...

وأخذ الديب يدعو للتمرد والثورة على الاحتلال البغيض ولو كان ثمن الحرية الحياة نفسها :

واهتف بشـــعــــبك   أن يثـــور مـــجـــاهدا
مــــازال خـطب الـغــــاضـــبين خطيـــرا
الـقـــيـــــد ضـــوعف وزنـه وإســـاره
والســـجن أصـبح للـبـــلاد ســـعـــيـــرا

وهو لا يضن بحياته ثمنا لحرية مصر وعزتها :

الـيـــــوم إمــــا أن نـعــــيش أعــــزة
أو أن نموت أعــــــزة الأمــــــوات
هى ضــــجــــعــــة روحى بهــــا فى جنة
مــــاذا يـهم إذا فـــــقــــدت رفـــاتـى ؟

ويرى أن لغة القوة هى التى يجب أن تسود فى تعاملنا مع الاحتلال البغيض :

خلواالـكـتــــابة لـلـمــــدافع والـظبى
فلـقــد كـتـبـتم باليـــراع كــثـيـــرا

أنا شاعر لا كنت فيكم شاعرا
إن لم أكن أسدا بمصر هصورا
خلوا المفاخر للرجولة وحدها
تحيا الرجولة مبدأ ومصيرا

وكان النيب يحلم باليوم الذى يرى فيه مصر القوية العزيزة الحديثة :

إنا لنرقب للكنانة دولة
ملء البسيطة قوة وظهورا
يبنى الشباب جلالها وجمالها
ويذود عنها غدوة وبكورا

وكان يرى أن حرية مصر وقوتها وعزتها لن يحققها إلا قوة السلاح وصلابة العزيمة :

إلى السماء فاصعدى
لا تخضعى لا تسجدى
إلى الدماء للدماء
صوّبى وسدّدى
إلى السلاح للكفاح
لا تراعى واجهدى

وكانت غاية آماله أن يرى مصر الحرة المستقلة العزيزة رغم كل أدوات البطش والقهر والعنف :

إلى السجون أو نرى استقلالنا

فـــالســـجـن للأحـــرار جنـات النعـــيم

ونفـــذوا إن شـــئـــتـــمـــو إعـــدامنـا

فـــعـــيش الاســتــعـــبـــاد فى نار الجـــحـــيم

* * *

وكان عبد الحميد الديب لا يؤمن بالأحزاب أو بجدواها ... فأخذ يشن حملة شعواء على تناحر الأحزاب وصراعاتها بالمعارك الفرعية دون أدنى أهتمام بمصر ومصيرها ومستقبلها أو التفكير فى كيفية تخليصها من قبضة الاحتلال الانجليزى الغاشم ..

ومع هذا فإنا نجد للشاعر قصائد فى الثناء على حزب سياسى بعينه ظن فيه خيرا وعلى رئيس هذا الحزب وقادته لم نجد فائدة ولا ضرورة لضمها إلى الديوان .

ولقد حمل الديب على السلطة الحاكمة فى عنفوان قوتها وسطوتها غير مبال بما قد يلحقه من أذى وبطش :

إذا لـم تـصـلـح الحـكـام فـــــيـنـا

فـــمـــا يـرجـى لنـا أبـدا صـــلاح

ثم يمضي إلى أقصى غايات الجرأة والتمرد فيهاجم الوزراء الذين شغلوا عن الشعب ومشاكله وما يعانيه من آلام وأهوال بملذاتهم ومطامحهم الشخصية فيقول :

أمـــا تســتــحـــون لهـــذا الخـــراب

وقــــــد هـلـك الـطـفـل والمـرضـع

فـــهـــذا هو الـهـــول يـوم الوعـــيـــد

وكـلـكـم راح يســـتـــمـــتـع

أفـى ســـاحـــة الـكـون بـين الـدمـــاء

يـقـــام المصـــيـف أو المـربـع

رئيس الوزارة فوق السفين

يغني بليلاه أو يسمع

تكال له المتع الوافيات

وللوطن الموت والمصرع

دعوا الحكم لستم كِفاءً له

وما في هواكم لنا مطمع

هكذا أطلق الديب هذه الصرخة عام ١٩٣٨ في عنفوان سطوة الاحتلال الانجليزي وحكم الطبقة المستغلة غير مبال بما قد يجره عليه هذا الموقف الصريح الشجاع من ويلات ومشكلات لا حصر لها وأهوال جسام ... وحسبه أنه آمن بوجوب تغيير نظام الحكم من أجل مصر ومستقبلها وعزتها ...

ثم يرى أن مصير هؤلاء السادرين في ملذاتهم ومطامعهم الشخصية غير مبالين بالشعب وما يعانيه من أهوال سيكون رهيبا وأن لاخلاص لمصر إلا بقوة شبابها وعزيمتهم :

لستم لنا الأكفاء أنتم عصبة

ما في جهادكم لمصر نصيب

حتما سيأخذكم على أعناقكم

يوم بأخذ الظالمين قريب

يوم الشباب الطامحين وإنه

كغد لمن يرجو سناه قريب

ثم يطلق صرخة قوية ثائرة عالية يدعو للثورة والعنف والقوة والتمرد على الاحتلال البغيض فإن لغة الوعود الزائفة لم تجد شيئاً :

لم يجـدنا عـهـد الكلام وإن غـدا
شـدوا يفـيض بسـاحـر النغـمـات
فـتكلمـوا نغم النضـال مـجللا
بدم الضـحـايا صـادقى العـزمـات
لا تسـمـعـوا إلا صـراخ مـقـاتل
ورنين صـمـصـام وقـصـف قناة
ومـجـاهد فى الله يغـشـاه الردى
فـيـصـيح : ياوطنى إليك حـيـاتى

* * *

هذا هو عبد الحميد الديب الشاعر الوطنى الصادق المحب لمصر ... الوفى لها ... وهذه لمحة سريعة من وطنيته وأشعاره التى تفيض وفاء وحبا وصدقا لوطنه .. وهى تصور حقبة هامة من حياته الخصبة العريضة .

فى الوظيفة ! ...

كان الديب يشعر بالمرارة والحزن بسبب ضيق ذات يده ولاخفاقه فى العثور على وظيفة وكان كلما تقدم ليطلب عملا طورد بطلب صحيفة السوابق فيئس من رحمة الحكومة واشتغل لفترة عند أحد الدجالين وكانت مهمته إطراء مواهب ذلك الدجال للزبائن !.. ولكنه ترك تلك المهنة كما ترك من قبل مهنته كمصحح فى إحدى المجلات لقاء قروش وعاد لحياة الصعلكة والليل والحانات ! ...

وكان الديب يطلق صرخاته بسبب إخفاقه فى العثور على وظيفة بسبب صحيفة سوابقه فيقول :

قـــالـوا المؤهـل .. قلـت الجـــوع والـعطـل
يا أمـــة عـــز فـــيــهـــا النذْبُ والـرجل! ..

وامتدت يد الوزير الأديب عبد الحميد عبد الحق فعين الديب فى وظيفة على الدرجة التاسعة بوزارة الشئون الاجتماعية بمرتب قدره خمسة جنيهات فى نهاية عام ١٩٤٢ ... ولكنهم طالبوه بالمسوغ فاحتمى الديب بالوزير الأديب فقال :

أأبكـى وحظـى فى حـــمـــاك يـغـــرد ؟
وأفـنى ولـى ذكـــر إذا شـــئـت يـخلـد ؟
وأشـقى شـقـاء الروض جـانبـه الحـيـا
وفى مـــصـــر أكـــفـــاء بعطفـك تسـعـــد ؟
أتـركــبـنى فلـك النجـــاة وكـلـمـــا
قـــصـــدت بـه شطا يـطول ويـبـــعـــد ؟
فـــــذ ضـــربـات فـى الظـلام تـنـالنى
إذا لم يـكن لـى من حـــيـــاتك منجـــد ؟

وأسند الوزير له عملا فشمخ أنف الديب واشترى عصا يتوكأ عليها ترفعا وكبرياء ولكنه أفاق من نشوة الفرح بالوظيفة الجديدة حين رأى نفسه بلا مقعد أو مكتب يجلس من خلفه فى الوزارة مثل بقية الموظفين فبعث للوزير بهذا البيت :

بالأمس كنت مشردا أهليا

واليوم صرت مشردا رسميا

ولكنه لم ينعم بوظيفته طويلا إذ أنه فارق الحياة فى ٣٠ أبريل عام ١٩٤٣ (*)

(*) للمزيد من التفاصيل راجع « فيلسوف الصعاليك : عبد الحميد الديب » بقلم محمد رضوان إصدار مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

نهاية شاعر البؤس ! ..

يقول الدكتور زكى مبارك عن الأديب الصادق : (١)

(إن الأديب لا ينبغ إلا إذا ارتطم فى الغواية والبؤس وتلك سنة الطبيعة منذ خلق الأدب إلى اليوم ، ويكاد يكون من المستحيل أن يكون لرجال الأدب روح إلا إن صهرتهم الهموم والأحزان) هذا هو رأى الدكتور زكى مبارك وهكذا كان يؤمن شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب ! .. فبالرغم من أنه كان شاعرا بائسا ماجنا فقد كان يجد لذة فى الإمعان فى هذا السبيل ليخرج شعره كما كان يتخيل صادقا واقعيا ! .. وارتمى الديب فى آخريات حياته فى أحضان الكأس وإدمان الكوكايين فى حانة الحاخام بحارة اليهود يناجى صاحبته الشقية فاطمة ويبثها همومه وأحزانه بعد ما وجد أن الوظيفة التى أهتدى إليها كانت سرابا .. لضآلة المرتب ! ..

وصار الديب يذوب تدريجيا حتى انتهى كشاعر وكإنسان .

وكتب المرحوم كامل الشناوى يرثيه فقال : (٢)

(لقد جاع الديب وأكلت الماشية وتعرى واكتست الاضرحة ، وهو الإنسان وهو الفنان ياصديقى : كيف أبكيك ميتا وحياتك لم تُبقِ فى عينى دمعة أرطب بها ثراك ! ...)

* * *

أما بعد ، فتلك هى سيرة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب وهذا هو شعره الذى كان يتمنى أن ينشره فى حياته .. نقدمه اليوم لقرائه ومحبيه ..

* * *

وإذا كان أحمد حسن الزيات قد أرجع مأساة الديب إلى أن الطبيعة قد قست عليه ، فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل العامل بالكفاية الكافية لابتغاء العيش السائغ الهنئ ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة عارمة لا تضبطها إرادة ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يراهم مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عقيرته الجوع ، وألهب شعوره الألم ، وأمض نفسه

١- ذكريات باريس – ١٩٣١ – ص ٨٤

٢- الاهرام – مايو ١٩٤٣

الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الأنين عن المجروح ، والصراخ عن المظلوم ، والزمجرة عن الساخط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدى ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحمى ، أو شص يصيد وكان منشأ ذلك الفهم القديم للشعر الحديث أنه كان كأكثر الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جد وكد ، وإنما عرفها على أنها لهو وصعلكة ، ولذلك قضى حياته البوهمية البهيمية شهوان لا ينام إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظمأ !

فإن د . زكى مبارك رغم رفضه لذلك الإتجاه الذى كان سائدا يومذاك بأن البؤس يذكى المواهب ويزيد فى يقظة العقول ، فقد أدان المجتمع الذى ظلم عبد الحميد الديب ، فذكر أن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فالديب لم يقتل نفسه عامدا متعمدا « فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفكم يا أشحاء » وقال موجها حديثه لوجهاء المجتمع « أنتم القتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف .

* * *

هذا هو الديب الشاعر البائس الذى رسم لنا لوحات صادقة صور فيها قصة بؤسه وحرمانه وألمه وعذابه تضعه فى مرتبة عالية مع أعلام شعرنا العربى المعاصر .

وقد اشتهر بأنه شاعر البؤس الذى لا يجاري ولا يبارى حتى وصفه – الشاعر طاهر أبو فاشا – بأنه الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا المضمار ، حيث كان لوناً متفرداً من المكدين من شعرائنا المحاويج الذين تنكرت لهم الحياة فتنكروا لها ، أو بعبارة أصح تنكروا هم للحياة فتنكرت لهم الحياة ، فهذه هى الحقيقة التى جمعت بين حراف الديب وانحرافه ، فقد كان ممروراً ساخطاً باستمرار ، ساخراً دائماً ، ماجناً على أى حال ، كانت حياته رحلة قصيرة فى حساب الزمان ولكنه ترك وراءه معها قصة دامية للفنان الذى ترتفع به موهبته ، وتهبط به نزواته ، فهو مخدور يسير فوق سحابة من الوهم تحمله من حى الباطنية أو حى الزهار . . أو مخمور يترنح ويحمل نفسه متثاقلاً من حانة إلي حانة ، فإذا دبت الحميا فى مفاصله راوده خداع السرور ، وأخذته نشوة السعادة الكاذبة ، فانطلق ينشد أناشيد الوهم والسراب !

هذا هو عبد الحميد الديب وهذا هو شعره النابض بالحرارة والصدق والعذاب ! ..

محمد رضوان

شعر

عبد الحميد الديب

البائس

أذلـه الـدهـر لا مـــــال ولا سـكـن ..
فـــتـى تزيـد علـى أنفـــاسـه المحـن ..
إذا سـعـى فـجـمـيع الأرض قـبلتـه ..
وإن أقـــام فـــلا أهـل ولا وطـن ..
مـــهـــاجـــر بين أقطار الأسى أبـدا ..
كـــأنـه بيـــد الأرزاء .. مُـــرتهـن ..
كـــأنه حـكمـــة المجنون يـرسلـهـــا ..
من غـيـر قـصـد فـلا تصـغى لهـا أذن ..

* * *

ثـيـــابه كـــأمــانيـــه ممزقـــة ..
كـــأنهـــا - وهـو حيٌّ - فـــوقـــه كـــفن
هو الـهـدى صـرفـتكم عـنه .. مـحنتـه
إن الـعـــزيـز مـــهـين حين يمتـــهـن
ألا فـــصـــونـوه من أرزائـه كـــرمـــا
ولا تـخـلـوه يـورى شـــره الـزمـن
فـــربّ عـــزم يثـيـــر البـؤس فـيـصـله
فـيـنـبـرى لـســبيـل الشـــر لا يـهن

الطلل الباكى ...

لو أستطيع البكا يا أيُّها الطلَّلُ
بكيتُ حتى شكَتْ من دمعى المقُلُ
أرى الحوادِث آساداً .. مُقذفةً
علىّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوّح عودى بعد نضْرته
وكم خَبا فى دياجى عُمرى الأملُ
وكم دعت لى أُمّى وهى باكية
وكم دعا لى أبى يقْظانَ يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم
وكلهم بمجالى رقتى ... حفَلُ ؟
حتى إذا سلموا للعَوْد وانصرفوا
سريْتُ جوعان يفْرى عزمى الكللُ

* * *

جوعان ! .. يامحنةً أربتْ على جلدى
كأن ليلى بيوم البعث .. مُتَّصل
كأنَّ حظى رحيقُ الدهر يشربها

بِكْـراً مـــعـــتـــقـــة فـــالدهـر بى ثَـمِلُ
فــإن تطـلبتُ عــيــشى مت من كــمَــد
وإن تـطلبت حَـــيْنى يبـــعُـــدُ الأجَـلُ

وصف راقصة ...

عَــربدَ الحــسن فَــجُنَّ الــسامــرُ

وعــرا الــسُّــمــار أُنسٌ غــامَــر

رقــصت أم زلزلت من رقــصــهــا

كلّ قلب فــهــو نــاء ... حــاضــر

الشــيــوخ القُــعْــددُ اســتــجلوْابهــا

كل حــســن ، والشــبــابُ البــاكــر

ذلك الرقص صــــــــلاةٌ وهــدى

ودعــاء مــســتــجــاب طاهــر

ويد تــســتــلهم اللــه التــقــى

وفــؤاد بالأمــانى ... عــامــر

دمع المنازل ...

بَواد كـــــــدار الخـلـد بـر المنـازل
شَـقَيـتُ فـمـالى لا أفـوز بطائل ..
أُقـضّى به فى ليله ونهـاره
مـعـيـشـة أفّاقٍ ووحـدة ثاكلِ
وكم سألونى كيف تشقى مع الحِجا
وفى شعرك الهامى عِذابُ المَناهلِ ؟
فقلتُ بهذا الشعر بؤسى وشقوتى
كما قتل الصَّدّاح زهْرُ الخمائلِ
فلا تسألونى عن دمائى وسفكها
سلوا بدمى الغالى جريمة قاتلى
فكم مرّت النُّعمى علىّ بسيمةً
فأبعدها عنى وضيع الوسائل

* * *

ورفض لئيم كاشحٍ الصدر حاقد
منالىَ أرزاقى بهمَّةِ .. عامل

* * *

بكتْ بلـدتى حــــزنًـا علىّ وحـــســـرة
وأحـــزن مـــا أبصـــرتُ دمعُ المنـازل
وكـم نَدَبتّنى فى حِـــمَـــاها ضـــريـرة
تـنـوح بـصـــــوت هَـالـعِ الـوقـع ذابـل
وشـــــــيخٌ أبـىٌ الـدمع إلا بمـحـنـتـى
وفـى ثوبـه مـــجـــد الكـرام الأمـــاثـل
همـــا والداى الـصـــالحـان كـــلاهمـــا
على شـــدة البـــأســـاء مـــوئـل ســـائل
فـــيـارب .. إمـــا نعـمـــة من حـــصـــافـتى
وإمـا حـــيـاة فى حـــمـــاقـة جـاهل ! ..

بؤس الشرف

ياذلَّة العـــيش بين البـــؤس والشـــرف
عـــيشى هـو الموت في الحـــرمـان والتـلف
إذا تـناولـتُ نجـــمـــاً فى مـــحـــاولـة
رأيتـــه حـــجـراً صـــفـوان مـن خـــزف
ولو كـــشـــفتُ كنوز الأرض مـــا ظفـــرت
يداى منهـــا بغـــيـــر الحـــزن والأسف
لعنتَ يارب غـــيـــرى واغـــتـــفـــرت له
هلاَّ غـفـرت لشاك غـير مُـقْـتـرف ؟ ! ....
أعـــيش فـى أُمـــة ضـــاقت رغـــائبـــهـــا
بالـدّرِّ وانصـــرفت حـــمَّـــالةَ الصَّـــدَف
يمضـى العـــبـــيـــد بهـــا فى كـل ناحـــيـــة
مـــحـــمـلين من الأنـعـــام والتـــحف
إذا رغـــبت عـــبـــيـــدا فـــالـتـــمس مـــلأً
بمصـــر يحـــيـــون كـــالأنعـــام بالعـلف
أطـعـــــمت يـارب هذى الـناس من ذهـب
ونحـن قـــيـــد الطوى نـشـــتـــاق للـرُّغُف

وكنُت أول من يشدو لمؤْتلف
فبتُّ آخر من يرثى ... لمختلفٍ
وضمنى الدهر والأموات فى جَدَث
نرجو المراحم من بَادٍ ومعتكفٍ

* * *

أبى ! ... وأين أبى حيّاً ووالدتى ؟ ..
لقد حسبتُهما فى صالح السلف
فالبؤس أبعد عنى كل مقترب
حزنا وقارب منى كل منصرف
وردّنى فى الصبا شيخا يضيق به
عطف القلوب سوى هاو ومحترف
وأطمع الوغد فى تبريح متربتى
وأركب النوُكَ فوق الصدر والكتف
أحييتُ بالشعر أمواتا فأهلكنى
لأن سلمى به حرب لمنتصف
لاهُمّ ضاع شبابى وانتهى أجلى
ولم أذق نهلة من كوثر الشرف
معيشتى صدفة والموت أرقبه
مهما يطل زمنى من عثرة الصدف

أباة الضيم ...

دمـــوع الثَّــواكل لا الـغــانيــات
وسـؤل اليـتـيـمـات لا السَّــادرات
أقمْ وجــهك السـمح فى المكرمــات
لـكلِّ كــريم عـــصىٍّ الشّكـاة . .
فكـم مُــعــوزٍ قــد كــســاه الإباءُ
حــصــانة ذى القــدر الغــاليــات
فــيــقــضى طوىً دون أن يجْـتَــدى
ولا يذكــر الجــوع حــتى الممــات
وأســخَنُ من عــبــرات العُــفــاة
حَــبــيسُ البكـا بعــيــون الأُباةَ

* * *

إذا أغـــفل الروض صــوبُ الربيعِ
يحُـــولُ إلى بَـلقَـع أو مـــواَت
وإن أعــوز الحــسنَ نيلُ الكفــاف
جــرى العُــهْــرُ للخُــرَّد المحـصنات
وكـم حطـم الفــقــر كُنَّ الخـدور
فــذرّى به زعــزع الســافــيــات

وللصامتين وللصابرين
نداك ، وجنّبهُ مَنْ قال هات
لمن يصطلون وهم صابرون
لظى الفقر والمحن المهلكات
رجال نساء ، لهم في الممات
غرامٌ لفقرهم في الحياة

فى وصف الحبيب

خـــلال أطلالـه رغم الـضنـى جـــاســـا
صَبٌّ طوى الـعـمـر وجـدانا وإحــســاســا
ردَ الشـبـيـبـة كـهـلاً من مـدامـعـه
رد الربيع هـشـيـم الـنبت حــســاســا
بـكـى بـكـاءين مـن قـلـب ومـن بـصـــر
وصب دمــعين مــتــلافــا ومــتئنــاســا
أحــبـبت والبـؤس تـقـصـينى مـخـاوفـه
فــبت أضــرب للأســداس أخــمــاســا
أحـــبـــبت أنعم من حـــدثتـــه ، رشـــأ
به ســمـــات الـهــوى روحـــا وأنفـــاســا
به شـــحـــوب يكـاد الـصـب يأكـلـه
أكــلا ويشــربـه دون الطِـلى كـــاســا
وإن تـكـلـم فـــاســمـعَ أيمّــا ضـــحـك
يريـك أى جـمـــال يـسـحـــر الـنـاســا
لو كـــان مـقـــول "غـنـدى" من رخـــاوته
مـــا قـــسـم الهـند أطـهـــاراً وأنجـــاســا
وإن تـثنـى عـلى كـــرســـيِّـــه ورنـا
فـــاســخـر من البــان صـداًحـــا ومـيّــاســا

مصرع الحظ ....

حظى ومــصْــرعُــه فى لـين أخــلاقى
وفــيض عطفى على قــومى وإشــفــاقى
ومَنْ حَــبــتْــه الطِّلا أخـلاف نـشْــوتَهــا
عــدا على الكأس طـوراً أو على الســاقى
بين الـنجــوم أناس قــد رفــعــتــهمُ
إلى الـســمــاء فَـســدُّوا بـاب أرزاقى
وكنت نُوح سَــفــينٍ أُرسلتْ حــرمــاً
للـعــالمين فــجــازوني بإغــراقي
وكم وقــيــت الردى من بتّ مــضـطربا
فى أســره المرّ لم أظفــر بإطلاقى

* * *

ياأُمــةً جــهِلتْنى وهى عــالمة
أن الـكـواكـب من نـورى وإشــراقى
أعــيش فــيكم بـلا أهل ولا وطـن
كـعــيش مُنْتــجعِ المعــروف أفَّــاقِ
ولـيس لـى من حــبــيــب فى ربـوعكم

إلاَّ الحَبيبْين : أقلامى وأوراقى
ريشَت لغدرى سهام من غيمتكم
فصارعتنى ومالى دونها واق ...
لم أدر ماذا طعمتم فى موائدكم
لحم الذبيحة أم لحمى وأخلاقى ؟ ..

* * *

قالوا غَوىٌّ شقىٌّ قلتُ ياعجبا
قد امْتُحنتُ بفُجّار وفُسّاق
وما تألمتَ من خَطب ضحكتُ له
كما تألمتُ من خَطْبى بعُشّاقى
أنا على القُرْب منهم كلُّ متعتهم
وإن نأيتُ حَبَوْنَى فَيْض أشواق
فمالهم قد أشاعوا كُلَّ مُخْجلة
عنى ، و أعلنوا بؤُسى بأبواقَ
كصاحب الطَّيْر لا ينفكُ يسجنه
سجنين من قفصٍ مُضْنٍ وأطواق

* * *

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة
هو النسيم سَمُوماً غير خَفَّاق

هو السحاب جَهَاماً والندى أَسِناً
هو الضياء لهيباً حين إحراقِى
كأنهً أذرع شَلاءُ راحتها
أو أنه أعينٌ من غير أحْداق
لا تسألونىَ عن بؤسى وعلَّته
سلوابه الحظ مَيْتاً فوق أعناق ! ..

غنى الجار...

أهلٌ بها لله راضيةً نفسي
وأشربها في الصبر مُترعةً كأسي
عَلَيَ موهباتي ألف دَيْنٍ لأمتي
على أنني فيها لدى مِحَنِي منسي
رفعتُ حجاب الشمس فيها فأطلعتْ
عَلَيَّ النهار الصحو خلواً من الشمس
وأحتمل الدنيا كأنيّ خلقتها
وأن جميع الخلق عُلِّقَ في رأسي

* * *

إلى القرب مني كنز قارون ماثلا
ولمَّا أنلّ منه سوى حُرقَة اليأس
ففي بيت جاري آثر المالَ وكُرهُ
فَيُصبح في لمَع الثراءِ كما يمسي
وجاري جماع الباخلين وظلهم
فلم يَدْعُ محروماً بعيد ولا عرسِ
له أسرة كالروض زهراً وصادحاً

فَــمَنْ شَــامَــهــا ألفى مــلائك فــردوس
بنون ، بـنـات ، مـــثـل ورد منضَّـــــرِ
يمرُّون كــالإصــبـاح مــعــتـدل الطـقس
يمـر على سُكْنَاى فـى ذَيْـلِ بيـــتــــه
مــرور عــيــون الموسـرين عـلى الفُـلس
تـكبّــــرّ فـــالألـفـــاظ مـنه إشـــارةٌ
كـــأنَّ عــبـــاد اللـه طُرًّا من الخـــرس
وإن نطـق الفــصــحى فــمن طـرف أنفــه
كـنـفــخــة ذي جـاه ومــال مـن الفــرس

* * *

صــحـــوت على قَـــصْف الـرّياح وصـــوته
ومـــا أحــدث الطرق الخَـليع مـن الجـرْس
يطالـبنى بـالأجـــــر فـى غـــيظ دائنٍ
تصّـيــده المحـتــال بـالثـمنِ الـبـخس
وقـــال يدارى ظـلمـــــه : أىٌّ ضـــامـن
لسُكْـنىَ تَعـرَّتْ عن سـريـر وعن كـرسى ؟!
أَراك بـهـــــا كـل الأثـاث ولا أرى ...
ســـوىِ قـلم ثـاوٍ عـلى الأرض أو طرس ! ..

* * *

فـقـلـت لـه : هـذى جـدودى كـمـا ترى
فـمـا مـسكنى فى البـيت ، بل أنا في رمـسى
وقلـت مـعـاذ الدَّيـن مـا كنتُ مـرة
غـريماً ولا أذللـت يـومـى ولا أمـسـى
وأسـمـعـتُـه صـوت الدراهـم فـانحنى
يقـدم أعـذار اليـهـود من الـوكس
وأخـضـع فـقـرى كـبـره وثراءه
وأىّ غِنىً للمـرء غـيـر غِنَى النفس ؟ ..
إذا كـانـت السكنى بأجـر مـذلةً
فـمـا أرحب المجّـان في غـرف الحـبس
فـإنـى أرى فـيـهـا الطعـام ، ولا أرى
غـريما ، يُلاقـينى بعـارضـة النحس
وإن لم أجـد فـيـهـا الطعـام مـيـسّـرا
فـإنـى رضىّ البـال .. أطعم من حـسى ! ..

يارية الدار ...

يــــاريـــــة الـــــدار لا تـــــرثـــــى لأرزاقـــــى
قــــد قــــدر الله إســــعــــادى وإمـــــلاقى
مـــعــيــشــتى بين مـــصـــر أصـــبـحـت مـثـلا
لـعـــــبــــــقــــــرىٍّ غنىّ الـنـفـس أفّـــــاق
والـبـــؤس يا هــذه حـــبـلى وآصـــــرتى
إلى الـســـمــــــاء تريـنى فـــيض خـــلاّق
بالـــمـــدامــع من خـــرســـاء نـاطقـــــة
تـذيع حـــــرمــــــاننا من كل إنفـــــاقٍ

* * *

لم أبك جـــوعـــان أو ظـمـــآن بل شـــغـــفـــا
في رق ســـجـنى إلى عـــــتــــقى وإطلاقى
وعـــــــــز أنمـاط قــــــــومى مـن ثـرائـهـمُ
يـفـنى ، وعـــزّىَ من بـؤسى هـو البـــاقى
عـــزّى بصــبـــرى وإيمانى وتضـــحــيـــتى
وبالحـــــفـــــاظ على دينى وأخـــــلاقى . .
تبكين من طول تبـــريـحى ومـــتـــربتى

ومنْ جـــراحيَ في قـلبي وآمـــاقي ..
وأنت ورقـــاءُ روضي ليس يَقْـــدحُني
ســوى جـــواك على غـــصني وأوراقي
أنا الـذبيح مـــدى عـــمري ومن عـــجب
أني حُـــرمت بخطبي كـل إشـــفـــاق

فى مأتم عرسى ! ..

لقَــد علَّلتْنى بالرضــا عن خــصَــاصَــتى
وقـــالــت مـــعَـــاذَ الــصــبـــر أن أتـــألما
فلـمـــا رأتْ مَـــبْكـاىَ ريعَتْ وأقـــبـلتْ
تُبكّى مـعـى عــيــشـــاً وحظًّا تجــهَّــمـــاَ
فــيــالـك عــيــشـــاً كلمـــا همَّ صـــاحبُ
يُواسـى عليـــه هَـلْهلَ الـدمع مـــرغـــمـــا
إذا ســجــعـت ورقــاءُ تبــعـث فــرحــتى
تنوح غـــراباً فـــاحم اللــون أســخَـــمـَــا
وإن هُيــــئت لى بـالمدامـــة مـــتــعـــة
رأيتُ مــريرَ الحــزن بـالكأس خــيـــمـــا
وقـــد مـــرّ بى عـــصـــر الشـــبـــاب ، كـــأنما
طلعـت على الدنيـــا مـــشـــيـــبـــاً مـــحـطمًا

* * *

أقـــام لىَ الأصـــحـــاب عُـــرســاً فــمــذ رأوا
به مـــخْـتَنى تشـــدو أقـــامـــوه مـــأتما
وروّى الـعطـاشى من نَمـيـــرىَ بينـمـــا

سُقيت به مُهْلاً حميما وعلقما

لقد نجح الإجرام حتى رأيتنى

إذا رمْتُ بعض العيش أصبحتُ مجرما

ولست بمختار الشقاء أو الهنا

فطول حياتى أشرب الكأس منهما

لقد حسدونى ليتنى كنت دونهم

فؤادا وأقضى بعض عمرى منعما

وتغرى بأحزانى خطوبى فاعجبوا

إذا عشتُ يوماً مؤمن القلب مسلما

عيد بؤسى ..

مَنْ زائرى فى العيد ؟ .. من بالباب ؟..
وهمٌ فقدتُ به رشيد صوابى
مَنْ ذا يطالعُ سحنةً مُغبرةً
فكأنها لعُنتْ بكل كتاب
ياغرفتى ما عشت أحبوك الرضا
فلقد حجبت عن الورى أوصابى
فعلى ثراكِ عفرْتُ جسمى نائماً
كثري البقيع لعابد أوّاب
ووقيتنى فى مدمعى وشكايتي
أذنَ اللئيم ، ونظرة المرتاب
جُنّ الظلام وقد توارى عيدهم
وذوى رواء البشر والترحاب
فخرجت بعد العيد أخفى شقوتى
متظاهرا بالزهو والإعجاب! . .

* * *

ما آدنى إلا بكاء حليلتى

حـــزنا لــبــؤس شــبـــابهـــا وشـــبـــابى

تــرنو إلـى جـــيـــرانـنا فـى يـســـرهـم

رنو الـيـبـــاب إلي هـمـيـل ســحـــاب

وهى الـصـــبـــور إذا عـــرتـنا مـــحـنةٌ

لم يـدر غـــيـــرى مـــا يخـــبئ بابـى

وإذا انـتـــصـــرنا فى حـــروب مـُـرّة

فى عـــيـــشـنا عـــقّت عـن الأســـلاب

والناس مـــهـمـــا أســعـدوا فى عـــيـدهم

صـــرعى خـــراف فـى ســـعـــار ذئاب

حـــرم الأناسىّ الـلحـــوم وإنهـــا

قـد أصـــبـحـت فى مـــصـــر طعم كـــلاب

ولو أنـهم وصـلـوا الـفـــقـــيـــر بعـــيـــدهم

مـن رزقـــهـم لنجـــوا مـن الأوصـــاب

* * *

أنـا جـــالس فـى مـــوكب حـلقـــاتـه

ضـــمـت أعـــزّوجـــاهـة وجـنـاب

مـن كل مـــزحــوم الـطـرائق لـلـغنى

أو والـغ فـى الجـــاه والألـقـــاب

أو مـــدّعٍ أن الـنـبـــوة أصـلـه

مــــــتطاول بــوجــــــاهة الأنــــســـــاب

كــشفت رجــولتــهم وجــوه خـصــاصــتى

فـــــــرأت بهــــــا ورداً لــكل ســــــــراب

قــــــد زوروا هــيــــــبــــــاتــهم وتـفــتنـوا

فــى كـــــــرنـفـــــال الـبـــــأس والإرهــاب

* * *

والـبـــــؤس أعـــــمــى أو أصم ، فــــــأهلـه

نــهــب لــغش الــداعـــــــــــر الــكـذاب

غـــــــرقى بـأمــــواج الحـــــيــــــاة وربمـا

يـنجــــــــو الغــــــريـق بـواهـن الأحطـاب

قـــــد خلت بـالأصـــــحــــــاب بـعض هنـاءتى

والـلؤم كـل الـلؤم فـى الأصــــــحـــــاب

هم قـــــادرون ومـــــا تشـــاء خـــلالـهم

أن يكــشـــفـــوا كــــربى وســـوء عـــذابى

لكـنهـم حـــذقـــوا الـهــــروب من الـندى

بملامــــتى فى شـــقـــوتى وعـــتــــابى

والحـــسم أصـــرح فى الردى من خـــمـــرة

فـــــيـــــهــــــا الردى مـن تالـف الأعنـاب

ذبحـــوا الخـــراف مـــخـــافـــتين وجـــددوا

فى عـــيــــدهم من فـــرحـــة وثيـــاب
أنـا لست أســـتــــجـــديهـم لكـننى
منهـم أقـــر براءتى ومــــتـــابى
إن فـــاتنى عـــيـــد الحـــيـــاة ويســـرها
ســأرى هناء العـــيـــد يوم حـــســـابى !

في الحانة المظلمة ...

ياحــــانة من طلاها تـشــــرب الكاسُ
وفـي دجـنتـــــهـــا لـلقـلب إيـنـاسُ
شــذى المدام وأرواح الســـقــاة لـهـــا
كـــــالروض عـطرّه الـنـســــريـن والآسُ
ياشـــــادنا في يـديـه الـكأس فـــاتنة
كـــأنما خـــمـــرهـا حُبٌّ وإحـــســـاس
إليّ فـــاتنة النّدْمـــان واســـتــبـــقى
هذا الـغـــزال فــمنك القـــدّ مــيّـــاس
والنـهـــد ؟ .. يا ويلتى من حـــالـم هزج
إلـى الـتـــــــوثّب منه يـرفـع الـراس

* * *

يـا لائمـى فى الطّلا أفــــرغتُ مـنـك يـدى
فـــأنت فـى حُـــرمـــات الخلد دسّـــاس
قل لـلخليين من يصــحــون مـن غـــسـقى
أنـتم عـلـى طهـــــركـم بـالماء أنجـــاس
كل العـــبـاد سكارى فـى مـــعـيـشـتـهم
والـسـكـر كــــالخـلـق أشـكـال وأجـنـاس

شم الكوكايين

أفـــاطـمُ إن الناس قـــد أكلوا عـــرضى
وبتّ لـعـــيناً فى الـســـمـــوات والأرض
يقـــولون « شَــمَّـــامُ» ومـــا شمّ مـعْطسى
ســـوى الوردة الـفـــيـحـــاء والنرجس الغضِّ
مـــعـــاذ شـــبـــابى أن يبـــيـت نضـــيـــره
هشـــيـمـــا وأن أقـــضى على جســـمىَ البض

* * *

أليس بيـــاض « الكوكـــيين » مـــبـــشّـــرا
بأســـود عـــيش فى غـــيـــاهبـــه أقـضى ؟ ..
فـمن فـقـد عـقلٍ كـان مـبـعث حكمـة
إلى البـــؤس فى ذل الســـؤال أو القـــرض
إلـى الســـجـن بين المجـــرمـين يؤودنـى
زمـــان كـــيـــوم الحـــشـــر يأتى ولا يمضى

لماذا البؤس ياربى ؟ . .

أيهنيك أن أبكي وعـــيـــشك ؛ يبـــسمُ
ويرضـــيك تَبّــريحى وأنت منّعمُ ؟ . .
مـضى العـــمـــر لم أُدرك به يوم مـاجـــد
وأنت على طول الحـــيــــاة مكرَّم
وجيع لنفـــسى أن أرى منك فَـــرْقَـــدا
وأنت الثّـــرى تعلو علىّ وتعظم
وفى قـــســـمـــة الأرزاق عـــدل وإنما
هُنالكَ ســرٌّ فى الســمــاء « وطلسم»
فــيــارُبَّ مــحــروم من الرزق مَــحْلهُ
لكل عـــبـــاد الله خـــيـــر وأنعم
وفى قلبـــه المقـــهـــور نفس نبـــيـــة
تحـــدّث عن ســـر القـــضـــا وتتـــرجم
ورُبَّ حظيظ ليس يدرى غـــبــــاؤه
أجنة خلد عـــيـــشـــه أم جـــهنم ؟ . .
إذا الناس لَم تنقم من الديب حـــاقـــداً
فـللـلـذنب تـلـو الـذنـب الـلـه يـنـقـم

أأكــفــر مـن بؤسى بـأحكام خــالـقى ؟ . .
كَــفى بِـىَ رزقــا أننّى الـدهر مـــسـلم
لمست حـــــدود الأربعـين وكـلـهـــا
لعــينى كـغـضــبـات الـبـراكين مظـلم
إذا عظـمت بأســاء عــيـشى ومـحنتى
فـصـبـرى عـلى الـبـأسـاء أقــوى وأعظم
ولستُ كـمــا ظنّ العــواذل خـامـــلا
ولـكننى فـى صــرعــة الموت مــرغـم
إلـى وثـبـــات فــــوق رأس نـوائـبـى
وإلا فــإنـىّ دونهـا ســوف أعــدم
فـليس بحـىّ مـن يُرى مــتــســوّلا
ومـن دونـه الأوشـــاب تـغـنـى وتـغـنـم
إذا المـال لم يـشـف الـغـليـل مـن امــرىء
فــأشـــفى مـن المـال المنيـــة والـدم
وإن أنـت لم تـدرك حنانا لـعــيــشـة
فـــإن الـردى أحـنـى عـلـيـك وأرحـم
* * *
رضـــيت رضـــاء الحـــاقــدين وإنه
لأولـى لنفـــسى فـى الحـيـــاة وأسلم

فإن لم يُفدني فارقبوني جريمة
إذا عاش في مصر صفيق ومجرم ! . .

ثورة مظلوم ...

شـقــيت إلى أن قـيل قـد ذلّ واجـتـدى
وأصـبـحتُ لا صـوتاً أرجّى ولا صـدى
مـن الظلـم تحطيم الحسـام لأنـه
بكل جـهـاد فى الحـيـاة تجـرّدا
وقـطـع يـدٍ فـى اللـه والحـق حطّـمـت
سـجـونا ، وفكت من أذاها مـصـفّـدا
وحـرمـان مـوهوبٍ من اليـسـر بينمـا
كـسـا اليـسـر أوشـاب الكنانة عـسـجـدا

* * *

شـكوتُ ، ومـا شـكـواى ضـعف وذلّـة
فلـست بمـسـتـجـد ولا طـالبـا يدا
ولـكننى أفـحـمتُ ظـلمـاً بمنطقٍ
مـن الدهـر لم تـبلـغ غـبـاوتـه مـدى
دمى دم أكـفـاء الحـيـاة ونـظرتـى
بهـا للمـحـيط الضـخم لا الطل والـندى
أجـدّد للـدنيـا نشـاطى وهـمـتى

فتنفحني الدنيا شقاء مجددا
تُسوّل لي نفسي المنون لأنني
أرى خير ما ينجي من العالم الردي
فأمسك ضناً بالشباب وبالحجي
وأبقي على عمري فلا ينتهي سدي
أأسْجنُ من عون اللهيف وغوثه
ونصرتيَ المظلوم سجنا مؤبداً ؟!
أيئسني قومي لأني شاعر
أهلهل في الآلام شعرا مخلدا؟ . .
وشدتُ كما شاد النبيون شرعة
تنزّل فيها الوحي شعرا مردّدا
وقلت ، وقال الناس ، لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا فأربيتُ منشدا

* * *

يمينا لئن لم يؤمنوا بقضيتي
لأُمضي إليهم سهم ظلمي مسدداّ
سأرقب عدلاً من قضاتي فإن أبواْ
أبَتْ قوتي في الهجْو أن تتقيداّ

موت الشيطان ! . . .

كل شئ أشهد الله عليًّا
فرّت الدنيا جميعا من يديّا
لا تقل لى كيف تحيا سادراً ؟ . .
أنا ميْتٌ بين قومى لست حيّا
سرّ هذا البؤس أنى شاعر
قد أفاد الدهر منى عبقريّا
عندما كنت بحانى شارباً
كنت أصغى للمصلى يتهيّا
رنّة التكبير فى سمعى محت
رنَّة الكأس وأودت بالحميّا
والمصلّون لدى تسبيحهم
صيرّوا الندمان فى عينى نِسيّا
مظهر التسبيح والتقوى بهم
قد سقانى الكأس إيمانا سريّا

* * *

ياصبوحي يا غبوقى ضَلَّةً

لكمــــا منى بكورا أو عــــشــيّــــا

وهبطت الروض والليل سَـــجَــــا

قــــد أجنّ الطيـــــر والورد النديّا

كل مــــا فى الروض حــــتى تربه

سبّح الرحمن تسبيحاً خفيّا

وهــــنــا أدركــتُ أنــى لــم أعــش

وأنا المسلم إلاّ جــــاهليّــــا

قــد تخذت الشعــر توحيدى ولم

أتطهّــر فــجنى الشعــر عليّا

بينمـــا أســرف فى وصف الطّلا

والهـــوى لم أدّخــر لله شــيّــا

أنا أو إبليس للدنيـــا عـــمى

هو خـــافٍ وأنا أبدو جليّـــا! . .

* * *

قلت ربى : . . وأنا جـــــاث لهُ

فــحبانى لطفُه قلباً رضيّـا

تُبتُ من ذنبى ومن ترجعَ به

نفســه لله يبعــثه نقيـــا

توبةٌ من بعـــد أن فـــزت بهـــا
كل شيءٍ صـــارفى عـــينى هنيًّـــا
فـــتـــرانى فى الســـمـــوات العـــلا
أصـــحب الشـــمـس وتعنولى الثـــريّا
ولـدي ســــدرتهـــــا فى مـــــوكب
مـــا حَـــوَى إلا مـــلاكـــا أو نبـــيّـــا
وعلى الأرض شـــهـــابا لامـــعـــاً
من صـــفـــاء القلب أو نور المحـــيّـــا
فُـــتـــحتْ أبواب أرزاقى بهـــا
فـــســـقـــانى خـــيـــرها شـــهـــداً وريّا
ونـأت عنى همـــومى بعـــدمـــا
أصـــبح القلب من الدنيـــا خليًّـــا

* * *

وسل الليل فـــمـــا أغـــفـــو به
غـــيـــر أرمـــاقٍ ، ومـــا تجـــدى عليّـــا
هذه آية عـــشـــقى كـلمـــا
جُـنّ ليلى ظَلْتُ ســـهـــرانَ مليّـــا
لا يواتـيـنى الكـرى حـــــتى أرى

طيف حـــبى ، فـــأُحــــيِّ وأحــيَّـــا

فــــإذا حـــــدثتنى ألــفــــيـــتنى

غــــائب المهـــــجـــــة لله نجـيَّـــــا

* * *

أيـن شـــــيطانـى وأيـنت ريـحــــــه ؟ . .

كــان يـهـفـو فى الـدُّجى روحــا عــتـيـا

أكـلـه أو شـــــريـه مـن هـجــــــرتـى

فى ظلام الشـك أفّــاقـــاً شـقــيّـــا

فــــقــــضى يوم الـهـــدى إذ لـم يجـــد

أى شِــــرْع ينتــــهى منـه إليـــــا

جنة المحـــراب تشـــوى جـــســـمـــه

وأنـا لـم أغشَ بـيــــــتـــــــاً أو نـديّـا

مـــــات شــــــيطانى ، وهـاكـم جـنـده

هـينمـــوا بـالدمع أشــبـــاحـــاً بُـكـيًّـــا

في غرفتي . . .

أفي غُـرفـتي يارب أمْ أنا في لحـدي ؟ . .
ألا شـدّ مـا ألقى من الزمن الـوغـد
وهل أنا حيٌّ أم قَـضَـيْتُ وهـذه
إهابة اسـرافـيل تبـعـثني وحـدي ؟ . .
لكم كنت أرجو غـرفـة فـأصبتُـهـا
بناء قـديم العـهـد أضيق من جَـدّي
فـأهدأ أنـفـاسي يكاد يهـدُّها
وأيسـر لَمْسٍ في بنايتـهـا يُردي

* * *

أرى النمل يخشى الناس إلاَّ بأرضـهـا
فـأرجله أمـضى من الصـارم الهندي
تسـاكنني فـيـهـا الأفـاعي جريئـة
وفي جـوها الأمـراض تفـتك أو تُعـدي
تراني بهـا كلَّ الأثاث ، فـمـعطفي
فـراش لنومي أو وقـاء من البـرد
وأمـا وسـاداتي بهـا فـجـرائد

تجـــــدد إذ تبـلى عـلـى حـــجـــر صلـد

* * *

تعـلمت فـــيـــهـا صـــبـــر أيوب فى الضَّـنـاَ

وذقت هزال الجـــوع أكـــثـــر من « غـــاندى »

جـــوارك يـاربـى لمثـلىَ . . . رحـــمـــة

فـــخُـــذْنى إلـى النيـــران لا جنة الخـلد ! . .

كيف أعيش ؟! . .

نهـــارى إمـــا نومـــة بين مـــســـجـــد
غـــــرارا ، وإمـــــا بـالطـريـق تسكّـعُ
وأطوى عـــصىّ الليل فى القـــرّ ســـاعـيـــاً
ومن أيـن للأفـــاق فى الكـون مـــهـــجع
إذا أذنوا لـلفـــجــر . . . طرت مـــســـرة
إلي مـــســـجـــد فـــيـــه أصلى وأضـــجع
أصـلى بوجـــــــدان المرائى وقـلبـــــــه
وبئـــست صـــلاة يحتــــويهـــا تصنع

* * *

أمـــرّ على المقـــهى فـــأســـمع شامـــتـــا
يمـزق فى عـــــرضى وآخـــــر يشـــــفـع
وقـــد ســـاء ظنى بالعـــبـــاد جـــمـــيـعـــهم
فـــأجـــمـــعت أمــرى فى العـــداء وأجـــمـــعـــوا

الحبل المنقطع . . .

ربعَ الحبيسُ ببلواه فما جزعَا
والجرح كل مدى إبلاله وسعا
حَملتُها طعنات لَوْ بواحدة
منها منُى «همُلايا» مال وانصدعا
ونافسين علىَّ الشعر فى حسد
وما سوى الشعر فى حَرْبِى لهم شفعا
وقاطعين طريق العيش أسلكه
وقَطرُ غَيثى بقومى بينهم همعا
وما قنعت بدونٍ إنه شرف
بالموت دون حياتى بالرضا قنعا

* * *

ياذابحى الشاة فى أفراح عيدكمُ
هَلاَّ بعثتم لنا من لحمها قطعَا ؟ . .
يالابسين جديدا فى ثيابكم
هلا يعثتم لنا المتروكَ والخلعا ؟ . .
ردُّوا علينا شباباكم دَجًى ودجى
وليل شيبكمو باليسر قد سطعا

رَمَيْتُمونى بأخلاق مجرّحة
حتىّ رأيتُ مقامى بينَكُمْ وضعاً
فسرْتُ سير ذبيح مُهدر دمهُ
صِحا فهمّ فجاء الموت فانصرعا
إذا وصلتُ بكم حَبْلى مسايرةً
أتت عليه مُدى الأضغان فانقطعا

حرمان . . .

رَفَعنَا حجَاب الشمس ، أين سَنَاَها ؟ . .
ودنّا رياضَ الخلد ، أين شذاها ؟
تَجافَتْ بنا الدنيا ونحن سَراتُهَا
وضاقت علينا أرضها وسماها
ومن يُرْمَ بالدنيا الفقيرة فليكن
على الرغم منه أُمها وأبَاها

* * *

تحطّمت بالحرمان لولا علالةٌ
تمرغ فقرى فِى وضيع ثراها
أنافق فيها مُكْرهًا لخصاصتى
وأبذل نفسى أن أنال حياها
وأستشفع القَدْمَ الضعيف بمحنة
بها فاض همّى يائساً وتناهىَ

فى السجن ! . . .

لـه بفـــــؤادى لـذّة ووجـــــيبُ
وفــــيــــه لقـلبى بلسم وطبــيب
مــــلأت به الـدنيــا هوىً وصــبــابةً
وهلهلت فـــيــــه الحب وهو جنيب
ومــا صــدّ عنى أو لَوىَ دون حــاجــتى
ولكـن أخـــلاق الجـــمــيـل غـــريب
تـهـــــدهده كـــالطـفـل إن أنّ أوشكـا
ويغُـــرى بـك الأشـــجـــان وهـوطروب

* * *

لقــد شــبـعت فيّ الأعــادى شـمــاتةً
وبتّ ومـــالى فى الـوجـــود حــبــيب
وأصــبــحت مــســجــوناً بـدار بعــيـدة
تجـــافى بـهـــا خلٌ وبان قـــريـب
أأصــبح مــســجــونا ومــاكـنت مـذنبـا
ولا حـــزبتنى فـى الحـــيـــاة ذنوب ؟ . .

* * *

وإخـوان سـجن قُـبّـحت من وجـوههم
هـمـــومٌ تـوالى دائـمـــا وخطـوب
فـمنظرهم أضـحـوكـة كلبـاسـهم
ومـخـبـرهم فى الحـادثات رهيب
لقـد كنت فـيهم يوسف السـجن صالحـا
أفـسـر أحـلامـاً لـهم وأُصـيب
وكم لـيلة في الـسجن بين صبـاحـهـا
وبين دجـاهـا مـشـرق وغـروب
فـيـحـيـا رجـاء فى الحـيـاة مـوسـوس
ويمحى بهـا فـجـرٌ أغـرّ قـريب
وكل ضـيـاء فى الغـيـابة خـادع
فـفـجـر الأمـانى للسـجين كـذوب
لـنـا هجـــرة في الـهم لـم نَـدْرِ عندهـا
مـتى تنتـهى من هـولهـا ونـؤوب

السجن أحب إلىّ . . .

لُذْتُ بالسجن بقلب بَهجٍ
مرحبا بالضيق دون الفرجِ
ههنا دارى وأهلى ، وهُماَ
كل ما أرجو ليوم الحرج
ولج السجن يرى طاهر
وأخو زلاته لم يلج
ناء بالأبرار عن جناتهم
إن رب الفسق مبرور نج
هكذا الدنيا رأينا ليلها
فى صباح واضح منبلج

* * *

أيّها الورد انتحر لا تتئذْ
قد تجافى دهرنا بالأرج
أيها الطير إلي الموت فقد
صمّت الآذان عن كل شجِ

* * *

أنا من قـــالوا خـليعٌ مـــرح

وطـوال الـعـــمـــر لـم أبتـــهـج

غـصّ بـالـوثـبـــــة مـنـى أعـــــرجٌ

فـــرمـــانى حـــقـــده بـالـعـــرج

مـــا أصـاب الخــيـر في مـــصـر سـوى

ســـاقـطٍ فـى كـل دَرْك ســـمـج

والـــذى خـَــلـد مـــن آثـــارهـــا

حـــجـــر يـفـــدى بـحـــرّ المهج

ربًّ لا نـشـكـو ، فـكـم مـن مـــحـنٍ

لـم نجــد فـى كــربـهـــا من فـــرج

قـــد فـضـحنا ســترها فــانكشــفت

مـن يـرح فـى هـجــــرة الـهـمّ يـج

سرقة لحافى ! . . .

(سرق لحاف الشاعر البائس الوحيد الذى كان يتدثر به فى ليالى الشتاء الباردة فرثاه بهذه القصيدة) .

لحــافى ، وهل غـيــر الهـبَـاء لحــافى ؟ . .
بقـــيّـــــــةُ نَـسْـجٍ دارسٍ ونـدافِ
أطافَ به لصٌ فــقــيـر كــعــيـشـتى
فـــيـــا بُؤسَـــهـــا من هجـــرة ومـطاف
ولم أخش من ذا الرزء إلاَّ فــضـيــحـتى
بـأنى قـــــد ملّكتُ شـــرّ لحـــافِ
فلـيــتك يالصى الجــرىء وجــدتنى
غنّيــا وســعـدى فى الحـيــاة مــوافى
ويا لــيــتنى مـــا كنتُ صـيــدك إنمَّا
ســرقتَ لحــافى جــاهداً وشــغــافى
ويا لــيــتنى دون اللـحــاف ضــحــيــة
فــإنى صــديقٌ فـى الحــيــاة مُــوافى ! . . .

* * *

فَكم ليلة تحت اللحــاف قــضـيـتُـهــا
أُســامــر أحـــلامى وطـيفَ سُــلافى

وكم ذا وقاني البرد في جُنح ليلة
بها الموت من كل المواجع شاف
لقد ضاع مني ذا الغطاء ، فهل ترى
أُدَثِّرُ شعرا ضَافياً وقوافي ؟! . .

شياطين الملائكة ! . . .

سلى فــــؤادك عنا لا تلومـــــينا
ولا يجـــا فـــيك منا قـــول واشـــينا
عـــدا الشـــقــاء على الدنيـــا فـغـيّـــرها
ولم يـغّــيــر بهـــا صــفـــو المحـــبــينا
وخـلّـف الــروض إلاّ بـانـهُ حـطبـــــــاً
وكـــان مـــخـضـــوضـــراً يهـفـــو رياحـــينا

* * *

يا ظبـــيــة القـــصـــر مـــا أشـــجــاك فــاتنة
تـركـــــتنــا بالـهــــوى نبكى وتبـكـينا
أعـنـو لمـغـنـاك إذ عـــــزّ الخـليـط بـه
وأجـــتنى حـــبـــه مـــهـــمـــا نأى دينا
لـكنّ لـى ذمـــة مـن بات يـخـــفـــرهـا
ســقـــيتـــه قـــاسـيـا مُـهْـلاً وغـسـلينا

* * *

رأيـت مـنّـا عـلـى الـبـلـوى مـــــــلائـكـة
فـــمـــا يضـــيـــرك أن كـنا شـــيـــاطينا

وقـــد أريناك مـن وحى النـهى عـــجـــبـــا
فــمــالنـا فى الهــوى صــرنا مــجــانـينا ؟ . .

* * *

لـم نرتـقب فــــرجــــا فـى يوم كــــــربـتـنـا
إلا وكــــــان لنـا ضــــيــــــقــــــا يواتـيـنـا
ولا اســتــغــثـنا طبـيـبــا فـى مــواجــعـنا
إلا المنــايا نـرَجّـى أن تـواســـــــــيــنـا
لـم يخـلـق الحـــزن إلا في جــــــوانـحنا
ولا المدامـع إلا فـى مــــــآقـــــيـنا ! . .

فى قريتى . . .

« زار شاعر البؤس عبد الحميد الديب قريته كمشيش سنة ١٩٤٠ بعد عشرين عاما منذ تركها واستقر بالقاهرة فأوحت إليه الزيارة بهذه الخواطر الحزينة الباكية . . . . » :

تغيـّرت يادنيا ،فأين مضى أهلى ؟ . .
وأين ديار لم تذُقْ نُوَب المحْل ؟ . .
وأين جواميس سُمانٌ حلوبةٌ ؟ . .
وأين جِمالٌ لا تُراعُ من الحمل ؟ . .
وأين حمامات هَتفْنَ عشيّةً
تنوح على إلفٍ وتبكى على شمْل ؟ . .

* * *

سريتُ فمضّيت السُّرى فى مسرّة
وبَرّحَ بى شوقٌ إلى رؤية الكُلَ
فلم أرمنهم غير أخت حزينة
براها الضّنى من غمرة البؤس والثُّكْلَ
عميتُ من البلوى فلم أدرِ ذاهلاً
أخى من ثوى بين المقابر أو نجلى ؟ . .
أقامت بنا الأيام حربا فلم تَدع

بقـــومى من شـــيخ يدبُّ ولا طفـل
إزاء قــضـــاء الله أصـــبــحت حـــائرا
أقــصـِّـرُ فى مـيــدان عــيــشى أم أُبـلى ؟ . .

وداعاً شبابى ! . . .

وداعــــاً شَــبـــابِى فى ربيع شــبـــابى
وأهْلا حـــســـابى قــبل يوم حــســـابى ! . .
ومـــا يبــتـغـى من عـــاش غـيـــر مُــوفَّق
ثلاثين عـــامـــــاً فى أسى وعـــــذاب
بنىَ فـــوق دار الشـــمس دَارةَ مـــجــــده
فـــســـاكنه فـــيـــهـــا نَـذيرُ خـــراب
طلعتُ على الدنيـــا فـــلا النُّورُ فى الدجى
ولا الروضـــة الـفَـــيــحْـــاءُ وسط يبـــاب
ولَكن حظى بـدلَّ النـور ظُـلمـــــــــةً
وبـدّل مـــــا أشــدُو نعـــيب غُــراب
ويــؤتُ مـــن الأيـــام وهـــى هـــوامــعٌ
بحظ العطاشى من جـهـــام ســحـــاب

* * *

أمــــانىّ تغــريـهـــا الخُطوب رأيتُــهـــا
كـــأشْــلاء قَـــتْلى فى رؤوس حِـــراب
ولـــو أنَّ وهّـــاب الحــظــوظ أرادَ لـــى
ســـلامـــة إحـــداها لخـــفَّفَ مـــا بى

ولكنَّهـــا مـــاتتْ بليلة عُــرســـهـــا
ومن دمـــهـــا الغـالى تخِـذْتُ خِـضَـابى ! ..

حرب الأصدقاء ! . . .

(كان الشاعر يضيق أحيانا بدعابات أصدقائه فيثور عليهم ويطلق سلاح شعره عليهم يمزقهم شر ممزق وهذه القصيدة ثورة صاخبة على أصدقائه . . الذين كانوا يتخذون من بلواه فكاهة وسمرا في مجالسهم وقد نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٠ يتيه بها عليهم بفنه وعبقريته :

عـــــزّتـكـمُ الـدنيـــــا وهُـنّـا
فـــرقــصـــتمُ طيـــرا وغـــصنا
مُـلّـكتـــــمــــوها بـالـغنى
ومـلكتـــهـــا شـــعـــراً وفنّا
أنـتم مـــشـــيب فى الـصـــبـا
وأنـا الشـــبـــاب كـــبـــرت سنّا

* * *

عـــشـــرون عـــامـــا والـزمـــان
يـــؤودنـــى ضـــنّـــا وغـــــــبـنـا
وتجـــــــدون هـــنـــاءكـــم
وأجـــــدد الأحـــــزان حـــزنـا
وأنـا لـكـم فـلـك الـنـجـــــاة
وكـم بـكـم أغـــرقـت ســـفـنـا
يـا لـلـغـــريـق إذا اســـتـــغـــاث

بقــــــــــادر فــى الـيـمّ ضـنـا

لا تمـلـكـون ســـــــوى المـلام

ومـــــــا ضـلـلـنـا أو أثـمـنْـا

***

أبـنــى لـكــم صـــــــرح الـوداد

وكـم حـطـمــــــتـمْ مـنـه ركـنـا

كـم مـن صـــــديـق شـــــامـنِى

أبـكـى مـن الـبـلـوى فـــــغـنّى

كـم شــــامـتٍ قـــد ســـرّه

قـلـقـى بعـــيـــشـى فـــاطمــــأنّـا

هـى هـدنـةٌ فـى مـــــــحـنـتـى

إن عُـــدتمُ لـلـحـــرب عُـــدنْـا ! . . .

القدر المذل . . .

أسْلَمتُ للقـدر المذلِّ سـلاحى
وجَرتْ علَىَّ مَشيئةُ السَّفّاح
مُستضْعَفٌ يُحْنى علَىَّ كأنَّنى
يُتْمٌ يُدلَّلُ فى حُجُور سِماحِ
يامِحْنةً أكَلَ الشَّقاءُ شَبيبتى
فيها ، ومزّقت الخُطوب جناحى
ولَبستُ بَاليها بعُرسى مكْرهاً
وشربت آسَنَها مُعتَّقَ راَح
فى أسرة ترجو المعيشة قُنّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراحِ
ولها سوى حرب الشعوب حروبُها
والدهر عزلاء بغير سلاح

* * *

جُرحان فى كبدى لفرط صَبابتى
ولِشقْوتى والناس جدّ شحاح

ولو أنهم جَرحَى خُطُوب زمانهم
مَنْ ذَا يقيسُ جراحهم بجراحى ؟ . .
لا تعتبوا بخلى بدمعى صابراً
فَيضُ الدُّموع بمُقلة التِّمساح
أنبَتُّ فى الأخلاق صدقَ «محمد»
وَجَنيتُ كذْب (مسيلم وسجاح) ! . .

* * *

أشكو إلى الأخلاق غِرّاً والغاً
فى الإفْك رَغْمَ هدَاية النُّصاح
كَمْ ذا أقلتُ عِثَارهُ ورحمته
فارتد يهجو نعمتى ويُلاحى
نَبغَ النُّبوغَ اللّغْو فى تهريجه
ومن الطَّغَام مُهرِّجُ الأفراح
تخذوه تسلية الندىِّ وحسبُه
هُزء الضَّحُوكِ ونكتةُ الفضّاح
منْ معْشرٍ أكلوا «الجراية» قنَّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراح
ظفروا على الأحداث جُنْد مُوفّقٍ

للمـــال أو خـــدمـــاً لـدى مـســمـــاح

إن كـــان هذا الفـــحش خِـــفَّـــة روحـــه

فـــمن الحــمـــاقـــة خـــفَّـــة الأرواح ! . .

* * *

مـــا كـــان ضَـــرَّكَ لو رعـــيت كـــرامـــتى . .

ورحـــمْت تـبـــريحى ، وطُول نُـواحى ؟ . .

وأنـا الـذَّى لبس الـنّـجُـــوم قـــلائـداً

وزكـــا غُـــدُوِّى فى الـعُـــلا ورَوَاحـى

وطَلعتُ فى مـــحْل الخـــلائق واكـــفـــاً

وَمـــحـــا ظَلاَم الُمـعْـتَـفين صـبـــاحى

أيُبـــاحُ عـــرْضى فى ســفـــاهك بَيْنـمَـــا

عـــرْضُ الأذلِّ الغـــرِّ غـيـــر مُـبـــاح ؟ . .

وأشـــدُّ مـــا ألـقـــاهُ يوم رزيـئـــتـى

أنَ أجـــعل الـهـــجـــو الوجـــيع ســلاحى

مِـن قَـــبْل يوم الـبـــعْـث لُؤْمُكَ باعِـثٌ

فى كُلِّ يـوم حَـــامِل المـضْـــبـــاح

* * *

نَـحُن المـلائك والملـوكُ ، وَحَـــسْـــبُنـا

بالشـــعـــر تزكـــيـــةٌ ونيْل وشـــاح
يا مِـــحنَةَ الأدب الرفـــيعِ بمعـــشـــر
جَـــعلوا الســـفـــاهـــة آية الإفـــصـــاح
لا يصْـــدعُ الـزَّبدُ الجُـــفـــاءُ ســـفـــينةً
والبـــحـــرُ طوْع رغـــائـــب الملاَّح ! . . .

بين السكر والصحو . . .

يقولون سكير فهل شربوا كأسى ؟ . .
وهل شربوا البلوى كما شربت نفسى ؟
سمت بى غداة العمر نفس رضية
فأوسعها دهرى من الهم والبؤس
مضى الشعب عنّى غافلا ، فجزيته
على حسّه الغافى بمختبل الحسّ
وإن أصَح ألفيت الحياة مجانةً
بها مأتمى الباكى يقوم على عرسى
فسكرىَ صحو فى بلادٍ أرى بها
حياتى لم تنجح على الطهرِ والرّجسِ
* * *
إذا قلت قدّيسٌ ، يقولون سادرٌ
وإن قلت حىٌّ ، يحملونى إلي رمسى
معاذ قصيدى أن أعيش مشرّداً
وأحرم جَنْى الرزق من شرف الغرس
تحدّيتُ أيامى وقومى بوحشتى

وكـــم وردوا مـــنّـــى مـنـــاهـــل لـــلأنـــس

لقـــد جـــهلـوا يومى ، ولن يـكرمـــوا غـــدى

وياحـــرّ قلبى من شـــقـــائىَ فى أمـــسى ! . .

صرخة شاعر ...

مَـا بـالُهمْ سكـتـُـوا كــأنْ لم يعــرفـوا . . .
هذا الضــحى والشـــمس فَلْيــتـشــوَّفُــوا
ضَنُّـوا عـلـىّ بكثــــــرهـم ويقـلّهـم . .
وســـواى لو طـلب المعـــونة أســرفـــوا
لا تُبــهِـــمُـــوا يـاجِــيــرتـى أحكامـكمْ
فى مـــحنتى ، فـلتــعــدلوا أو تُجْــحــفُــوا
لا تُـسـمــعــونى نوْحكُمْ لشــقــاوتى
وتَرنَّمُـــوا بين الحـــوادث واعــزفـــوا

* * *

مـــا بال من عــرفـوا أليمَ خـصَـاصـتى
ورقــيق حــالـى ليس فــيهمْ مُـسْـعفٌ ؟ . .
من كـــان يقــــدر أن يُفَـــرِّجَ كــربـتى
ويُـنيـب مـــدمــــعــــه فظلمٌ منصف
يتـــمـــتـــعــون بمدمـــعى وشكايتى
والـبـــدر سلوى للورى إذ يُخْـــســف
ولـربمـا غـــــــدت المـواجع ســلـوةً
للـمــتـــرفين ومـــتـــعـــة لا تـوصف

ولقد تَسَلّى العين وهي قريرةٌ
بمن اغتدى في قيد سجن يرسف

* * *

أأرى ذئاباً ؟ . . أم صحاباً ؟ . . إنهم
وجميعهمْ في الخطب لم يتعطفوا
«بارَ اللواء» جمعت بعض كتائب
والحقد فيهم مستبدٌّ مُشْلِفُ
وقفوا كما وقف الزمان بمحنتي
لدمى البري جميعهمْ يستنزفُ
أأعيش بينهم شقياً معدماً
وهمُ غنيٌّ ناعمٌ وموظّفُ ؟ . .

من أنا ؟ ! . . .

صحوتُ لم أجد الدنيا فأين غدت ؟ . .
وليس يبدو بها أهل ولا دارُ
الذئب تأكله شاةٌ لجوعتها
والماء ترعاه فى أحطابها النار
وقد غدا المال نهب الباخلين به
والمجد يحضنه فى شأوه العار
فهل تغيرت يادنياى أم عميتْ
عينى فليس بها للخلق إبصار ؟ . .

* * *

مرّ الذى كان حلوا في فمى ودجَتْ
فى الليل والصبح بين الكون أنوار
فلا جمال ولا نور ولا مُتعُ
ولا حياة بها عيش وأعمار
كأننّا فى وعيد الله تغمرنا
حال من الخوف نخشى دونه النار
فما تغيّر شئ فى الوجود عدا
نفس يحطمها بؤس وأكدار ! . .

* * *

النـاس فـى كـل يـوم بين عـــــيـــــدهـمُ
ودمع عـــيـنى بيـــوم الـعـــيـــد مـــدرار
وكـل ذنبـى أنى كـــــالـذى زعـــــمـــــوا
ضـــحـــيـة غـــالـهـــا فنٌ وأشـــعـــار ! . .

صبر البائسين . . .

إلى جِــوار النَّدي لـلبـــائس الحـــافى
ثُمــالة الـكأس لـلمــحــروم والـعـــافى
قـــالوا الحــفـــاء ، فـــقلنا لا يضــيــركم
مَنْ يأمـن الموت جـــوعـــا أنه حـــافــى
الشـعب جـــوعـــان لم يشك الحــفـــا أبدا
ولـمْ يمـدَّ لـكـم رجْـــــلاً لإنْـصــــاف
فـقـــد يبـيع الحـذاء الفـخم صـاحـبـه
لـينقـــــذ الـنفس من جـــوعٍ وإتـلاف

* * *

وفى البـــلاد عـلى خـطب الطَّوى صُـــبـــر
وليس كـــالـصّـبـر فى خطب الـطوى شــافي
ولابسين علي فـــــقــــــر جُـلـودهـم
لا يلبــســون سـوى مـــا حـيَّــر الـرَّافى
هذا هـو البــؤس ، لا حـــاف ومُـتنْـــعلٌ
والجـــرح لكنه عن طبِّكـم خـَـافى ! . . .

* يهاجم مشروع الحفاء فى عهد الملك فاروق .

حنين . . .

الوالدان هلكت بعدهما
من لى على رد الأسى بهما
أستوحش الدنيا كراهية
مذ ذقت كأسى من فراقهما
من موقظٌ أمى لأسمعها
قلباً يذوب لموتها ألما ؟ . .
وأبثّها لهَفى لرؤيتها
وتحّرقى أن أبلغ العدما
فأعيد أفراحى بحضرتها
وتدلّلى فى البيت محترما

* * *

أمّى . . إذا أصبحتُ نافلةً
لم تلفنى إلا فتى علما
وإذا لحانى الناس كلهمُ
أضفتْ علىّ حنانها كرما
وإذا افتقرتُ وجدت رحمتها

قــــد أمطرتنى اليـــــســـــر والنـعـــمـــــا

وأبـى ومن يـحـــيـــيـــــه لـى لأرى

وجــهــا كنور الشــمس مــبــتــســمــا ؟ . .

وأرى بـرؤيـة وجــــهــــــه لـهـــــفى

وأطـالـع الدنيـــــا به قُــــــدُمــــــا

مــــا شُــــمـــتــــه يومــا تجــهّم لى

مـــهـــمـــا تجلّى الخطب أو عـظمـــا

آه ، وهـل ألـقـــــاهمـــــا يقظا ؟ . .

أو نائـمـــــا ألقـــاهمـــا حـلمـــا ؟ . .

الــوالـدان هـلـكـت بـعـــــــدهـمـــــــا

مـن لى عـلى ردّ الأسـى بـهـــــمـــــا ؟ . .

أين الدنيا ؟ . . .

صحـوت لم أجـد الدنيـا فـأيـن غَـدتْ ؟ . .
هل اسـتـحـالت إلى حَـدْسٍ وأوهام ؟
أم اسـتـحـالت إلـى نوْمـانَ عـيـشـتـه
من فـرط أوهامـهـا أضـغـاث أحـلام ؟

* * *

لم ألفِ ،غـيـر شـخـوصٍ كـالـدمى وقـفـوا
حـيـاتهـمْ وقف عـبّـاد لأصنام
وفـارغـين من الأحـلام قـد علفـوا
بـطـونـهـمْ بـالمطـاهـى عـلـف أنـعـام
قـومُ عـراض القـفـا دان الغـنى لـهم
وإن أصـابوه عـن ذلٍ وإرغـام
جننت من مـوكـب الأوشـابِ تحـسـبـهـم
مظـفـرّين مـشـوْا في خـفق أعـلام
وهم جـبـان ومـشّـاء وداعـيـة
للـعـيش رجـسـا غـريقـا بين آثام
بينا ترى مـلأ الأكـفـاء قـد دحـروا

والبـــؤس يبـــعـــد من شـــهـــر إلى عـــام
كـــأنما الفـــقـــر للأكـــفـــاء توأمـــهم
فـــالبـــؤس كـــالشـــعـــر من وحى وإلهـــام

يارب . . أين رزق السماء ؟ . . .

يارحـــمـــتـــا لـى فى ليـــالى الشـــتـــاءْ
بين العـــــراء القـــــر فى وحـــدتى
جـــوعـــان لا أحـــيـــا بغــيـــر الرجـــاء
فـــى مـلـــجــــــــــأ دفءٍ وفـــى أكـلـــةٍ

* * *

والنـاس من حــولى قـــيـــامٌ قـــعـــودْ
يـجنـون ينعـــا من ثـمـــــار الحـــيـــــاه
ولـو رأونى أومـــــأوا بالـســــجـــــودْ
يـاذلـة الـدنيـــــــا لهــــــذا الإلـهْ

* * *

تـزوَرُّ عنى الخــــرَّدُ الـغـــــانيـــــاتْ
لو جـــهىَ الحـــاكى ســـواد الغـــرابْ
كـــأنما شـــخـــصى من الســـيــئــــاتْ
تخـــشى بـه الحـســنـاء ســـوء العـــذابْ

* * *

يمـر عـــــامى فى طِلاب الـكـفــــــافْ
وفـى جـــديد الـعـــيــــد لبس خَلَقْ

أقــــــســــــمت أن «الديـب» حُلمٌ وطافْ
وأنـه بـــين الـورى مـــــــــا خُــلق ! . . .

* * *

يـارب أين ؟ أيـن رزق الســـــمــــــاءْ؟ . .
وأيـن أنت ؟ يـا إلـه الجــــمــــيع ؟ . .
أليـس فى إســـعـــاد عـــيـــشى رجــاء ؟ . .
أليـس لى فـى عطـف ربى شـــفـــيعْ ؟ . .

* * *

خــذنى إذا مـــا المال أمـــسى عــســيــرا
فـــالموت خــيــر من حــيــاة الـفــقــيــر
الشـــاعـــر الموهوب يحــيــا فــقــيــرا
ومـــاله فـى شـــعــبـــه مـن نصــيــر

أجرة السكن . .

(كان شاعر البؤس يقطن بغرفة بحى الحسين وبالرغم من تواضع أجرها إلا أنه كان يعجز عن سداده) .

ثمانون قرشا أهلكتنى ، كأنها
ثمانون ذنباً فى سجلِّ عذابى
طويتُ لها الدنيا سؤالا وكُدية
فما ظفرتْ نفسى بردِّ جواب

* * *

لُعنتْ كراء البيت ، كم ذا أهنتنى
وأذللت كِبْرى بين كل رحاب
لأجلك إمّا أن أبيع كرامتى
وإما أفدّيها ببيع ثيابى
ففى كل شهر لى عُواءٌ بموقف
يباعد عنى أسرتى وصحابى
وطول ليالى الشهر يهتاج مضجعى
مخافة ربِّ البيت يطرق بابى
يطالبنى فى غلظة ، فأُجيبُه

إجـــابـة مـن يرجـــو يداً ويـحـــابـى

ألا سـكـنٌ مِـلـكـى ولـو بـجـــــــهـنـم

وأُكْـــفَى من الأيام شـرَّ حـســابـى ! . .

أجرة المنزل بين شاعرين . . .

أرسل الشاعر (عبد الحميد النيب) إلى صديقه الشاعر محمد الأسمر رسولا بخطاب فيه أن مالك البيت الذى يسكنه أوقع الحجز على أثاثه ومع الخطاب الأبيات التالية :

ياصاحبى حجز الغريم ولم أجد
فى الناس من بيع الأثاث مجيرى
وغداً سيفضحنى ويفضح عيشتى
نذل يبيع حشيّتى وحصيرى
والناس قد جمعوا إلينا شامتا
أو باخلاً يسخو بكل مضير
ليروْا مبيتى بالعراء وزوجتى
حيرى لبؤس مصيرها ومصيرى

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر مع رسوله بالأبيات الشعرية التالية :

قد بعثنا إليك شيئا يسيرا
فتقبّله شاكرا أو عذيرا
لو حبانا الزمان أكثر منه
لحبوناك منه شيئا كثيرا
كم بنيت البيوت فانزل بما شئت

وطُفْ بالجـــمـــيع دوراً فـــدورا

كــيف تـشكـو ياديب مــارحـت تشكوهُ

وأنـت الذى يـشــيـد الـقــصـورا

ليت شــعــرى مــتى أقلـب عــينىً

فـــلا أبصــر الأديب فـــقـــيـــرا

أنـــت " يـاديـــب " بـــا أديـــب غـــنــىّ

بالـقـــوافى وإن رهنت الحـــصـــيـــرا

مناجاة حبيب . . .

(يناجى الشاعر زوجته " إحسان " وهي مريضة فى صبيحة يوم العيد)

يــا مُـطـلـقـى مـن إســــــــارى
يامطفــــــــئــا حَـــــرّ نارى
هــزمــت دهــرى بــشــــــــارى
وصـــــنـــــت دهـــــرى ودارى
فـــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
سـلـمت لـى يـا حـــبـــيــبـى
ســـلـــمـــت مـــن كـــل داء

* * *

فـــوق الســـريـر ضـنـاك
يـــاورد أيـــن شــــــــــذاك ؟ . .
يـــابـــدر أيـــن ســـنـــاك ؟ . .
روحـــى وأهـــلـــى فــــــــداك
فـــأنـت كـل حـــيـــاتـى
وأنـت فـــجـــر هـنـائـى
سـلـمت لـى يـا حـــبـــيــبـى

سـلـمـت مـن كـل داء

* * *

مـــا قلـت تشـكـو الـضـنـى
آهٍ ، وقــلــت أنـــا
آهٍ لــطــيــب الجــنــى
آهٍ ، لـفــيـض المـنـى
فــأنـت كـل حـيـاتـى
وأنـت فـجـر هـنـائـى

* * *

ليلٌ كـيـوم الوحـيـدْ
طـولا وعـنـه يـزيـدْ
الـنـوم عـنـه شـريـد
والـصـبـح مـيْـتٌ شـهـيـد
فـأنـت كـل حـيـاتي
وأنـت فـجـر هـنـائـى

* * *

أضـفـى عـلـيك الشـحـوب
لـونـا كـلـون الـغـروب

ما كان قلبى يذوب
فأنت كل حياتى
وأنت فجر هنائى

* * *

ضحكت تدفع عنى
ما نال منك ومنى
ضناك قد هدّ ركنى
وكيف يضحك حزنى ؟ . .
فأنت كل حياتى
وأنت فجر هنائى

* * *

ذبلت ما عدت تقوى
وبتّ طيفا ونجوى
فبات جسمىَ شلوا
وبتّ للهم نِضْوا
فأنت كل حياتى
وأنت فجر هنائى

* * *

كل الأنام صحا
فى مهرجان الضحى
والأنس عنى انتحى
والهم بى برّحا
فأنت كل حياتى
وأنت فجر هنائى

***

ترنو للبس الجديد
رنوا يُلين الحديدْ
شفاك يوم سعيد
فأنت للعيد عيد
فأنت كل حياتى
وأنت فجر هنائي
سلمت لى يا حبيبى
سلمت من كل داء

محنة بؤسى !...

أفنى صبـــوحى فى المنى وغـبــوقى
انى امــرؤ كـــسـدت بقـــومى سُــوقى
زعم العـــواذل أن ســـعــيى مُــخـــفقٌ
والنحس توأم عـــيـشـتى ورفــيـــقى
لـولا مناوأة الـزمـــــان لهـــمــــتى
أزرى بنور الشــــمس نور شــــروقى
أقـــسى علىّ من الخطوب تبـــــرّمُ
بى من قــريب عـــاطف وصـديق
ضـاقت وجـوه العـيش دونى بعـدمــا
هضـــمـت لئـــام الناس كل حـــقــوقى
وعــقـــقت ذلى فــاسـتــرابوا بينمــا
نســبـوا إلى لؤم الطبـاع عــقـــوقى
وإذا انبـــرى الحنّانُ يكشف كــربتى
جـرحــوه واحـتـسـبـوه شرّ شفـيق

* * *

يامــحنةً أكل الشــقــاء شــبـيــبتى

فــيــهــا ، وهجّنت الخطوب عَــريقى

ولبــســتُ بالــيــهــا بعُــرْسى مكــرها

وشــربت آسنَهــا عــتــيقَ رحَــيق

لو لــم يكن نُبْلُ الحــيــاء طبــيــعــتى

أقــســمت مــا عــرف الشــقــاءُ طريقى

فــبكــل مــضــمــار سَــبــقْتُ ، وإنــنى

لأعــيش عــيشــة خــاســرٍ مــســبــوق

مــحــنٌ لهــا عــزم الجــرئ وصــبــره

والصــبــر أجــمل مــا يفــرّج ضــيــقى

ورقائى الذبيحة ! . . .

ذبحتك ورقائي وأنت هتوفُ
وعذل الشجىّ المستهان يحيفُ
رأيتك دون العود والماء أطبقتْ
عليك منايا كثرة وحتوفُ
وقد جنّ فقرى والهوى فيك قاتلى
وأشفقت أن تقضى عليك صروف
وفيك لزوجٍ موسرٍ كلُّ متعة
ومازلت بدرا لم ينلهُ خسوفُ

* * *

خلقت لقصرٍ بالثراء مضمّخ
وبينى قفرٍ ليس فيه رغيف
سأحمله جرحا لبعدك قاتلا
وأنجيك من عطف علىّ يخيف
وأشربها كأس الفدائىّ فى الردى
إذا ما أباها صاحب وأليف

---

* يناجى زوجته ناعياً لها حظه ، ومشفقاً عليها من بؤسه

فقالت بحسبي منك قلبٌ ونظرةٌ
وأنك فياض الوداد عطوف
ومالي بالزوج الغنيّ وماله
قرين إذا لجّ الخصام شريف
يمنّ فلا يبكي من الحبّ ذرةً
ويدنو ومالي من جناه قطوف

طل الندى . . .

يـا رحـــــــــيـق الـورد يـا قـطـر الـنـدى
كم ســـقـى عطفك مـن قلبى الـصـــدى

* * *

أنـت يــا قـطـر الــنـدى درّ مـــــــذابْ
أنـت أحـلى مـن رحـــيقٍ أورضـــــابْ
ياصـــفـــاء الماس يـالطـفّ الحـبـــاب
يا دمـــوع البــشــر من خـــود كـعـــاب
يـا رحـــــــــيـق الــورد ياقـطـر الـــنـدى
كم ســـقـى عطفك مـن قلبى الـصـــدى

* * *

غّـنـت الورقـــــاء والـشـــــمـس نـؤومْ
في صـــبـــاح قـــد هوت فـــيـــه الـنجـــوم
فـــإذا قـلـبى بحــــسنائى يـهـــيمْ
بــين عــطـــر الـــورد أو قـــطـــر الـــنـدى
يـا رحـــــــــيـق الـورد يـا قـطـر الـنـدى
كم ســـقـى عطفك مـن قلبى الـصـــدى

* * *

أنت أغـــريت حـــبــيـــــبى بـالبكور

لـيــــحــــيّــــيك بـأهـداب الزهـور

ويندّى الـقـلب مـن شـــــدو الـطيــــور

ويلاقــــــينى عـلـى شطّ الـغــــــدير

بـــين عــطـــر الــورد أو قـــطــر الـــندى

* * *

لست بـالطارق حـــانـا للـصـــبــــوحْ

أنـا من لـقـــيــــــاه نشـــوان مـــروحْ

كـل خـــــمــــــرى مـنه ألـطاف وروحْ

وانجـــذابٌ وهـبـــــامٌ وطـمـــــوحْ

وجــــنـــون بـــين ورد ونـــــدى

يـارحـــــــيـق الـــورد يـاقـطـر الـندي

كم ســـقـى عطـفك مـن قـلـبى الـصـــدى

* * *

فـــتح الأكـــمـــام إشــراق الحـبــيـب

حـــسنه يـضـمـــفـى عـلى الـوردة طيـبْ

ويـســـاقـى الـغـــصن أعطـاف الـنـدى

يـا رحــــــيـق الـورد يـا قـطـر الـنـدى

كم ســـقى عطفك من قلبى الصـــدى

* * *

حـــالت الحــرب فـــمـــا إن نلتـــقى

غـــيـــر أطيــــافٍ بحلم مـــغلق

هـو فى المغــرب في عـــيشٍ شــقى

وأنـا أهـفـــــو لـه فى المشـــــرق

وكـــلاتا ذاكـــر عـــهـــد الندي

* * *

يـالـه عـــهـــــدا على طول الزمـنْ

قـــد طـويناه كـــأحـــلام الوسـنْ

بين ليـل ســـرنًا فـــيـــه كَـــمَنْ

وصـــبـــاحٍ كل مـــا فـــيـه حسَنْ

رقت النســمـــة فـــيـــه والندى

يـارحـــــيـق الـورد يـا قـطـر الـندى

كم ســـقى عطفك من قلبى الصـــدى

---

* نظمها الشاعر عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية .

العيد الحزين ...

عـــيـــد يُطـالعنى والـعـــيش منكـودُ
لأنـت يوم الأسى والحـــزن يـاعـــيـــدُ
يُـجــــددُ الـنـاس من لـبس ومن فـــرحٍ
وعـنـدنـا لـلأسى والـهـمّ تجـــــديد
المسلمـــون وقـــد عـشنا خـيـــار همـــو
كـــأنّنا بينهم فى عـــيـــدهمْ هـود
لو أنصف الناس مـا ضـحـّـوا بشـاتهـمـو
بل كـــان قـــربانـهمْ للمُـــعْـــتَـــفى جُـود

في المستشفى ! . . .

(كسرت ذراع الشاعر في موقف نجدة فطوى أيام العلاج على سرير بمستشفى قصر العيني وكان سريره هو اليتيم أيام زيارة المرضي فأنشأ هذه الأبيات يعتب فيها على زوجته إحسان لأنها لم تزره ولم تواسه في بلواه) . . .

هـل بـالـديار لـهـــــذا الـصبّ من بـاكـى
ردى علىّ فـــأنـت الصـــوت والحـــاكى
لو كـــان في الحب عـــدلٌ مـــا شـــقـيت به
فـــقــد عـــشـــقــتك فى يمنى وبـلواك
حـــتى إذا مـــا ســـقـــانى الحبّ مـــحـنتـــه
حـــرمت عـــينى من رؤيـا مـــحـــيّـــاك
وبتّ فـى القـــصـــر تزجى آهتـى مـــقـــلا
بالـدمع أو مـــهـــجـــا بـالصـــارخ الشـــاكى
ومـــات جـــارى وجـــارى لـم أصخ لهـــمـــا
فـــقـــد فـــقـــدت لســـقـــمـى كل إدراك

* * *

كل المكاســـيـــر زارتهـم أحـــبّـــتـــهـمْ
ولـــم يـزرنـــىَ إلا طـيـــف نجـــــــواك
قـــد ذقت لذة توحـــيـــدى فـــمـــا نفـــعتْ

فـاليـوم أسـقـيك عـدلاً كـأس إشـراكى
أرى بهــجــرك جـلاّدى ومـــقــصلتى
مـــتى وأين إذن يااليل ألـقـــاك ؟ . .
أزيـد لى في الليــالى ليلة الشــاكى
جنت حــيــاتى في وردى وأشـــواكى

* * *

لو وازنت قـســمـتى فى العـيش مـوهبـتى
لما جـرى قـدر فـى غـيــر أفـلاكى
لكـن مـــا ظنّ عـــدلا كـــان يظـلمنى
ذبـحـــا لـروحى وتـنـكيـــلا بادراكـى
كم مـشـهـد سرت فـيـه ملتـقى غـيـر
مـن ظلـم مـــضـطـهـــد أو زور أفـــاك

* * *

شـــمـــاتة الـعـــاذلين الـســود تـلفــحنى
فى كـل مـــضطرب لـلصـــوت والحــاكى
أصـــبـــحت أنكر حـــتى من رثى وبكى
وكم ذكت حــرقـتى من مـدمـعى البـاكى
فـــمــادح مــوهبـــاتى مـهــدر شــرفى
الغـــصن فى راحــتـيــه نصل ســفّــاك

إذا كشفتُ نواياه أرى صدراً
من عاطش للأذى فى لؤم ضحّاك
يقضّ مضجعه شعرى ومنزلتى
فلا يودّ سوى بؤسى وإهلاكى

* * *

إحسان لا تفرقى من محنتى وثقى[1]
أنى على الرغم من بلواى أهواك
ولا ترعْك تجاعيدى فإن بها
سطور غيب أجافيه بإشراكى

١ – السيدة إحسان أحمد زوجة الشاعر يومذاك .

أنا غريب . . .

كان بعض أصدقاء الشاعر يداعبونه دعابة قاسية ويتخذون من مأساته ملهاة وأداة للفكاهة فكانت هذه الزفرة الحزينة :

تملّـون من وصـلي ويغـــضـــبكم صـــدي
فـــــواحــــيـــــرتي بـين العـــــداوة والـود
عـــــــداوة ذي حــــــقــــــــد وود منافـق
أأحــيـا صــريعــا للنفـاق وللـحـقـد ؟ . . .
شــربـت كـــلا الكـأسين ســمّـــا وعلقـــمـا
فـــلا عـــــون من إلـف ولا رفق مـن ضـــدّ
ويلـهـــــو بيَ الأقـــــران لهــــواً ،كـــأنما
أنا الكـرة الهــوجــاء تخطـفــهـا الأيدي ! . .

ثورة بائس ! . . .

(رفض أحد رؤساء الوزارات عام ١٩٣٩ أن يقلد شاعر البؤس عملا بحجة أنه ماجن عربيد فكتب الشاعر هذه القصيدة التى تتضح ألما وتفيض ثورة ومرارة ..)

أيعفيك من دمعى نفورك من ذنبى ؟
دع الذنب يحصيه ويغفره ربى
شربت بكأسٍ أنت منتشئ كرمها
كلانا بها طَبٌّ على السلم والحرب
تلوم لتقصى الخير عنّى ، وترتدى
غلالة ذى نسك تعبَّد فى خطبى
أتصبح قدّيساً لتفسق بالندى
وتهبط بالأخلاق عن شرف القلب ؟ . .
إذا كان قطع العيش عنّى هدايةً
ضممنا إلى الأخلاق مكرمة الكذب
أيخذلنى من لو يشاء أغاثنى
ويُبْدلنى أمناً من الخوف والرّعب
وفكّ إسارى حِسْبةً لقصائدى
وإطلاق ورقائي من المحل والجدْب

* * *

أقلنيَ من حبسى على الدمع والأسى
وخذنى مدى عمرى حبيسا على الكتب

* * *

طعْنتَ سلوكى طعنة لو ببعضها
أُصيبت سماء الله قُدَّتْ من الشهب

* * *

دعونى وخمرى إن كأسى قيامة
من الموت فى بأساء عيشى أو كربى

* * *

تحيرت فى مصر فمرجع خيرها
إلي ثعلب يعدو على الناس أو ذئب
إذا ما كشفنا كنزها آض تبره
لمن لم يكنِ منه علىّ مركب صعب
لكلّ خمول أو جهول ، وتنتهى
إلى يدنا منه الفجائع بالنَّدبْ
أعوذ بآلاء الكنانة إنها
غدت هَمَلاً كالعيس تعطَو إلى شرْب

* * *

أيُجمع قومي أن شعري ملهمٌ
وأغدو عيالاً في طعامي أو شُرْبي
فيا ذلّها تلك المواهب إنها
أضاعت إبائي بين أهلي َأو صحبي
أتغفل تقديري لشعري وتنبري
لتصديق واشٍ جاء يأفك بالذنب
إذا قلت مظلوم تقولون ظالمٌ
ويصبح مُراً في مذاقكمُ عذبي
فإنيَ كالحسناء في بكر حسنها
تُعاف فلا ترجى بعرسٍ ولا حبّ
وكالكنز مرصوداً فليس بنائل
به كاشفٌ يوما سوى صرخة الرعب
أقلني من ذا اللوم حتى تقيلني
من البؤس واتركني لما شاءَ لي ربي !

نشيد الأمل ! . . .

أَعُـــودُ إلى الـصِّـبـّـا بعــد اكْـتـهـــالى
فـــقـــد أوْفَـى على الـدنـيـــا نوالـى
تفـــيـض لىَ الصــخـــور أسىً وعـطفـــاً
ويُغْـــفـلُ مــحـنتى قـــومى وآلـى
فليت رجـــال أوطـانى صـــخـــورٌ
وليت الصـــخـــر قُـــدّ من الرجـــال

* * *

أطعـــتك "مـــصطفى" فـكتـمتُ سـهـمى
فـــمـــا أشكوِ منِ المحن الـثِّـــقـــال
رحـمـت خـصـاصـتى وعـرفـتَ قـدرى
وأقـــصـيـت الحـوادث عن مـــجـــالى
فلـم أيأسْ وقـــد أذكـــيـتَ جَـمْــــرى
بـآمـــــال أشمّ من الجــــبــــــال
وأقْـــتل للـحـجــا والشـعــر شكوى
يـبـينُ خـــلالـهـــا ذُلّ الســـؤال

* * *

* يقصد الشاعر مصطفى كامل الشناوى الذى ألحقه بالتصحيح بإحدى الصحف .

أنا أغنى امرئٍ بدمى وعرضى
وإن جُرِّدت من جاه ومال
إذا أنا لم أنل بالعلم حظى
سأصدر عنه بالسُّمْر العوالى
فإن مدّت يد لأذاى يوما
سأقطعها جريئاً لا أُبالى

قربان البؤس ! . . .

مرُّوا على الدار يوم العيد ضِيفَانا
يرجون منها نداها كالذى كانا
والدار حين رأتهم مُقْبلين لها
تعاورَتْ فى البكا أهلاً وبُنْيانا

* * *

يا معشر الديب وَافَى كلُّ مغُترب
إلا غريبكم فى مصر مابانا
ذبحتم الشاة قُربانا لعيدكم
والدهر قدمنى للبؤس قُربانا

* * *

ليت العباد كلابٌ . . . إن كلبتنا
لماّ تزل لحفاظ الودّ عنُوانا
تحّملت قسْطها فى البؤس صابرة
لم تشكُ جَوعا ولم تَستْجد إنسانا
لم يترك الدهرُ إلا شِيخةً عكفُوا

زار الشاعر أهله فى قريته كمشيش فى عيد الأضحى فلوحت له بهذه القصيدة

من فـــاجــعـــات الرَّدى صُـــمّـــاً وعـــمـــيـــانا
من كــــان يحــسـدنى فليــرتقب ســـحـــرا
أَنِّى عـلى الجـــوع أطْوى الأرض حـــيـــرانا
ليـلتـــمـــسنى لدى الخـــمَّـــار يحـــبــسـنى
فى «الـقـــسم» آنـا وفى حـــانوته آنـا ! . .

شبابى البائس ! . . .

ضاقت به الدنيا فكن رحباً به
قد ذلّ من غدر الزمان وريبه
لا تنكروا الشكوى على متبرّمٍ
قلق الحياة ، كمن يشاك بثوبه

* * *

أنا لا أرى لى فى شبابى لذة
لهفى على مرح الشباب وعجبه
من كان توأمه الشقاء وصنوه
فشبابه حرب ،عليه كشيبه ! . . .

* * *

لماذا أعيش ؟ . . .

طلع الصباح على مجالى فضّة
ومطارف من عسجد تتألقُ
واستأنف الناس الحياة ، فعاملٌ
جمُّ النشاط ، وعاطلٌ يتحرقُ
وأنا أمام الله يوم وعيده
وحدى ، فجسمى بالجحيم يمزّق
ونسخت إبليس اللعين بمحنتى
فبكل آونة هلاكٌ محدق
أخلقتنى يارب أم أنا واهمٌ ؟ . .
أنا ما خلقت لأننى لا أرزق ! . .

فى عالم الجنون . . .

رعـــاك الله « مـــارســـتـــان » مـــصـــر
فـــــإنكَ دَارُ عــــــقـل لا جنـون
حَـــوَيْتَ الـصـــابـرين عـلى الـبـــلايا
ومـن نـزلُـوا عــلــى حــكـم الـسـنـين
ومـن هبطـوا بـهم مـن صَـــرْحِ عـــزٍّ
إلــى أغـــــــــــلال إذلال وهُـون
تـراهم خـــائفين فــــإن أُثيـــروا
بَـمـــهْـــزلة فـــآســـاد العَـــرين
وإن ســـئلوا عن الأســـرار كـــانوا
كـــمـن أخـــذوا عـن الـروح الأمـين
وربّ مــــهــــرّج منهمْ بـقـــــول
يُـريكَ الجــــد فـى ثـوب المجـــون
فـــإن يـغـــضب بقَـــارصـــة تبـــاكى
فـــأبكى الـعين بـالدمع الهـــتُـــون
يـعـــذبه عــــبـــــادك كـل يوم
ويَـصْلَـى الضَّـــيم حــيناً بعـــد حين

وكم في مصر من غِرٍّ . . غبيّ
تمتع بالجميل وبالثمين
ولو عدلوا لأمسى « خانكياً »
يعذب بالشمال وباليمين ! . .[1]

خانكيا : نسبة إلي مستشفى الأمراض العقلية التى يطلق عليها العامة « الخانكة » وهو النطق للكلمة التركية القديمة « خانقاه » .

من الماضى القريب . . .

تجافت به الدنيا فعاش ذليلا
ولم يغنه فرط الذكاء فتيلا
سلام على حظّ وقفت بقبره
أنوح عليه بكرةً . . وأصيلا
رجوت الحيا سقياً لربعى فعقّنى
وعدت وربعى لا يزال محيلا
ومن شقوتى في محنة العيش أننى
فقدت نصيرى صحبة وقبيلا
ونازلت أجناد الحوادث مفرداً
فأفنيت عزمى وارتددت قتيلا
ولا عجبٌ فالدهر أظلم حاكم
يعزّ هجينا إذ يذلّ أصيلاً
ولو لم أعش فى جنّة الصبر راضياً
لقضّيت أيامى أسىٍ وعويلا

* * *

* رفع الشاعر هذه القصيدة إلي الملك فؤاد الأول يشكو فيها مأساة حياته عام ١٩٣٤ .

على أننى أرجـو لتفـريج محنتى
مليكاً بنصر المستجير كفيلا
له غير عرش الملك عرش قلوبنا
فما نبتغى منه الحياة بديلا
خلال ملوك فى ملاك طاهر
وفرع سماك بذ فنيه أصيلا
إليك « أبا الفاروق » أرفع قصتى
أحر ظلامات وأصدق قيلا
رواية مظلوم تمثل عمره
على أنها لما تتم فصولا

* * *

فقدت الصبا يارحمتاه على الصبا
وأصبح طرفى عن مناى كليلا
ومات أبى أعشى وأمى سقيمة
لحزنهما مما لقيت طويلا! ...

* * *

أهون أبا الفاروق والعلم غربتى
وأسقط إذ ألقى بمصر جليلا

أمـــولاى إن الـغـــرب عـــز جنابه

بتـكريم « روســـو » تـارة و « إمـــيــلا »

فــهـــلا أرى من جـانـب العـــرش نـظرة

تخــفف عــبـئـا قـد حـمـلت ثقـيـلا

فـإن الـصـدا يـؤذى الحـســام ولاغـــدا

حـســام الزبيـدى صــارمـا وصـقـيـلا

ولو حـــرم الدهر الـنضـــيـــر من الـندى

لبـــات هـشـــيـــمـــا إذ يموت ذبـولا

حسيب وحسيب

بريئ وعـــيـــشى فى الحـــيـــاة مـــريب
لقـــد صـــدّ عنى عـــازل وحـــبـــيب
يقــولـون تب عن فــعلة مـــا اقــتــرفــتــهـــا
فـــيـــــارب عن أى الـذنـوب أتـوب
لقـــد قـــتـل الأكـــفـــاء أيام بـؤســـهم
فـــمنهم بهـــا كل الأنـام غـــضـــوب
وللـشـــاعــر الموهوب كـــبـــر يحـــده
عليـــه غـــريب حـــاقـــد وقـــريب
صـــراحـــتـــه إثم . . وإبـهـــامـــه أسى
فكـل نواحى حـــالـتـيـــه عـــيـــوب

* * *

أليـس بدنيـــانا حـــســـاب يخـــيـــفـــهـــا
أليـس لأفـــعـــال العـــبـــاد حـــســـيب ؟
لقـــد صـــار خلق الـلـه لحـــمـــا وأعظمـــا
فـليس لهـــاتيك الجـــســـوم قلوب

جننت . . وهل غير الجنون يعيبني
من الشعب لم يحسب عليه أديب
من البؤس للعقل الكبير ضريبة
عليه يقاضيها بمصر حسيب
فمن قبل الديان للمرء واحد
ومن مصر ألف . . إن ذاك عجيب !

والناس فى مصر ! . . .

يا من لجــرح بهــذا القلب يأســوه
جــرح اليتــيم المعنيَّ مــات أهلوه
تزاور الناس يوم العــيــد ليس بهم
أخٌ على الدهر يدعــونى وأدعــوه
أنا الغــريب على الدنيــا فــعــالمهــا
أعــدى عــدوّىَ يهــجونى وأهجــوه
فــمــا ســمــعت على الأعــيــاد تهنئــةً
إلا مــــداهنــةً يلقى بهــــا فــــوه

* * *

يا قــــومُ مــــالىَ من ذنب أدان به
مــا بال نورىَ إن أظهــرتُ تخــفــوه
لكنهــا مــحنة أنتم طواعــيــة
فــيــهــا لدهرى مــا يأمــر تجــيــبوه
والناس في مــصــر أعــوان الظلوم بهــا
لو قــال كــونوا ترابا لى لكانوه
مــا العــيــد إلا بنيلى بعض أمنيــتى
فى المجــد إنىَ دون المجــد مــعــتــوه ! . . . .

مداعبة ...

(يداعب الشاعر فى هذه القصيدة صديقين كانت له معهما مواقف وطرائف ونوادر .
أحيانا يشفقان عليه وأحيانا يسخران منه .
هما الشاعر الفنان مصطفى كامل الشناوى الذى كان يتسم بجسمه الضخم والآخر الصحفى الكبير مصطفى أمين والذي كان يتميز بجسم فارع الطول فكانت هذه القصيدة الطريفة فى مداعبة هذين الصديقين لشاعر البؤس ! . . .)

نسيت اسمي وحظى والليالى
وعشت على التوهّم والخيال
كأنّى "كامل" فى موقفيه
ندى القصف أو حوض المعالى
يصول على دجاج عبقرى
يكاد ببطنه الكبرى يلالى
وبين يديه واحدة العذارى
شرى يدها بكأسٍ أو بمال
تغمغم إذ يُقبلها استياءً
لأنّ الفيل يعبث بالغزال ! ...

* * *

ويجتمع البدين إلى طويل

غـنـيٌّ عـن أسـى الأيـام خـال

كـلا الـصـدرين لـلـدنـيـا حـبـيـب

وفـارس حـلـبـة بين الـنـضـال

ومـصـطـفـيـان فـى عـلـيـا يـراع

يـصـيـد بـسـحـره الـبـيض الـعـوالى

فـقـلـت لـقـسـمـتـى مـن لـى بـيـوم

كـيـومـهـمـا ولـو فـوق احـتـمـالى ؟ . .

أذوق بـه الحـيـاة وأجـتـلـيـهـا

وفـيـهـا أتـقـى وقـع الـنـصـال

ولـن أنـسـاهـمـا خـلـقـا ونـبـلا

فـكـم عـطـفـا وكـم رثـيـا لحـالـى ! . . .

أنا وقومى ! . . .

لامــــــوا سكوتى عن بأســــــائهم وأنا
مـــا شِـــمْت منهم يداً فى يوم بأســــائي
فى الحــرب والسلم جـافـونى وقـد ظـلمـوا
حــــتى ثبــــاتى فـى خطبى وبلوائـى
أحــبّــتى فـى مــآسـيــهمْ ومــحنتــهمْ
وفـى مـــآسـىَّ عـــذّالى وأعـــدائى
مــــاذا أغنيّـــه أو أرثى لمجــــتـــمعٍ
مـوتـاه أسْـعِـدْ بـهم من كل أحــيــاء ! ....

إنما الناس عبيد ! . .

مــــــــا لـدى المحـنـة بـدٌّ مـن أسـى
يبـعـث الموتـى ليـرثـوا للـحـزينْ
كـلّـمـا هـلـهل دمـعـا أورقـتْ
دوحــــةٌ تـذكـى إلـى المـوت الحـنـين
ذبـل الـورد جـمـالا وشـذى
حـرقـة تروى قـلوب الـصـابريـن
أيـهـا المحـروم كم هـد الـدجى
مـنـك قـلـبـا لـلـرزايا لا يـلـين
وحـشـةٌ فـى منتـدى أو سكـن
وشـعـورٌ منك بالـعـيش مـهـين
كـلّ يـوم فـريسةٌ من مـلأ
إن فـى بـرديـك إبـلـيـس الـلـعـين
والـذى أجـرى عـلـى المحـل الـنـدى
ضـن أن يسـقـيك من كـدْرٍ وطين
وإذا قـلـت ارحـمـونى مـثـلـوا
واسـتـرابوا بك حـتـى بالأنـين

لا تقل آه ولا تشك فما

تعرف الدنيا سوى الحول المتين

* * *

إنما الناس عبيد فإذا

قلت ياسادة ظلّوا صاغرين

كم فزعنا لنرى أو نرتجي

أيّ وجه من وجوه العالمين

فأرانا الصل فى ألفاظه

لدغات مرسلات للمنون

ولمسنا فيه ناباً قاتلاً

تحته نزت أفاويق السنين

هات منها من ترجّى عونه

لن ترى فيه غداً أى معين

فهو كالزيف خساراً وإذا

ما اختبرت الزيف يهديك الرنين ! . . .

دع الشكوى ! . . .

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعك من الزمان إذا تنكّرْ
وهام بيَ الأسى والبؤس حتى
كأنى عبلة . . والبؤس عنتر . .
كأنى حائط كتبوا عليه
هنا يا أيها " المزنوق " . . . " طرطر" ! . .

أين ليالينا ؟ . . .

كلمــــا أقــبل ليل أو نهـــارْ
شـــاقنى الـعــهــد وشـــاقـــتنى الـديارْ
وشـــجـــانى ســـحـــره هذا المزار
والليـــالى الخـــرد الغـــيـــد النّضـــار

* * *

بعـــد طول البَـيْن هـل يجـمع شـــملُ ؟ . .
هـو نـار ، هـو وجـــــد ، هـو قـــــتلُ
يا حـبـيـبى كـيف أنجـو ؟ . . كـيف أسلو ؟ . .

خطبى

أبلغ بخطبى ذا سمع وناظرة
فقد تصامم عنى كل مخلوق
من نفخة الصور آهاتى وقد فزعت
لها القبور ولم يفرج بها ضيقى
كأن دين بنى مصر يحتشهم
أنى أظل حياتى غير مرزوق
وللغوانى اضطراب كلما نظرت
عيونهن إلى عينى وتحديق
عطشان للحسن طول الدهر ماارويت
يوما به النفس إلا فيض تشويق
قد أبعد البؤس عنى كل غانية
كما يصد الهدى عن كل زنديق
يروج حول سلوكى كل مختلق
كما يروج افتياتا بائر السوق

سهد الطوى

هل فى رحابك ياديار أضامُ
لا أنت راحمة ولا الأيام
عشرون عاما يستبد بعيشتى
حظ إذا صحت الحظوظ ينام
ليل كأيام الوعيد وهوله
قد مات عنه الصبح وهو غلام
سهدى به من فرط حزنى والطوى
والسهد من غيرى هوى وغرام

* * *

أيضيق بى الوادى كفافاً بينما
يجنى الثمار بشاطئيه طغام
لا ينتهى حربى لدهرى أو أرى
يوما أنا فى بُكْرتيه إمام
والناس إما والغون بسيرتى
أو منصفون ومالهم إقدام
مازلت أطمع أن أفوز بقسمتى

مـــــــادام يملأ قـلبى الإســــــلام

إن كـنت مـظـلومـــا فلى من عـــدلـه

سـند ولى من شــــــرعـــــه أحـكام

لن أغــمــد السـيف الـذى أنا شـــارع

فـــأعــز قـــاضٍ فـى الحــيــاة حـســـام

أنا وحرماني

- مر الخليط فلا حيوا ولا زاروا
كأنني منهم اللعنات والعار
أصبحت في مصر خصم الناس كلهم
كأن كل امرئ عندي له ثار
سدوا منافذ آمالي وقد قدروا
رزقي ، فعيشي طوال الدهر إعصار
في كل ركب أنا المنبتُ بينهم
حتى إذا خلفوني عاجزاً ساروا
كم قافلات مضت والدهر يقعد بي
ودون طيبي له بيد وأقطار
وعاش في النجم من دوني وخلفني
ومنزلي ماله في الأرض أشبار
إن قلت آه أجابتني جهالتهم
الرزق بين الورى غيب وأستار
سل الذي خلق النعمى وقسمها
أليس لي قسمة فيها ومقدار

* * *

يا مــــصــــر بين يديـك الآن ملــحــــمــــة
أنت الــشــــهــــيــــد بهــــا والبــــؤس بتــــار

الباب الموصد

قصدت إلى بابك الموصدِ
فطُوردتُ بالخادم الأسودَ
غلامٌ يمثل حظِّى لديك
وقلبك فى العطف والمعبد
كأنى حين طلبت النَّدى
إليك طلبتُ يد المعْتدى
عطفت علىّ برىّ الكلام
وأُكرمت منك برد صدى

* * *

لقد عشتُ يارب حتى رأيت
من الناس أقسى من الجلمد
فخذنى إليك فأنت الكريم
وقد ضقت بالزمن الأنكد

* * *

أتذكر أيام كنتَ الغنى
وقد جئتنى بائسا تجتدى

أما قلت لى حين فاض السخاء
وضاعف مارمته موردى
مددت إليك يدى بالسلام
أرانى فداء لتلك اليد
فرد إلىّ أقل الديون
عليك وحاذر خطوب الغد
فلستُ أرى البؤس عارا إذا
رأيت إبائى من مُسعدى

شكوى الزمان

أو تقسطون وأنتم الأكفاء
لا أنتم موتى ولا الأحياء
تعس البشير بكم ، فإن بحكمكم
أن يسعد الأوشاب والدهماء
أو ما رأيت « العسكرى وقد سما
شأواً تزاحم عنده النعماء
يزهى « بحفنى » فى الندىّ كما زها
بالمالكين أعابد وإماء
واليوم ينكرنى ويزعم أنه
فى عينه تتشابه الأسماء
ويظننى آل (...) وهو جريمة *
نتنت بفيحة ريحها الأرجاء
هل لابن محمود وصالح حكمة
عدل تميز بينه الأشياء !
أيعيش موفور الغباوة مسعدا !
ونعيش يفدحنا أسى وشقاء ؟!

---

* الكلمة المحذوفة اسم الأسرة .

أنشودة الظافر!

خليلى لم أظلم وإن بت ظافرا
وقد تضعف الأضغان من كان قادرا
ألم تريا ذا الشيخ فى طول نخلة
عريض القفا فينان كالفرع ناضرا
ألا لا تلومانى على صفع وجهه
فذلك وجه يقبل الصفع صاغرا
فقدماً رأيناه وللعين أختها
فأمسى مكان العين بالضرب شاغرا
ولو لم يكن "عيش وملح" وصحبة
لكنت لهذا الفحل بالذبح جازرا
هبانى لم أغلبه والحظ خاننى
وعدت من الميدان حيران خاسرا

---

* حدثت معركة بالأيدى بين عبد الحميد الديب والشيخ أحمد العسكرى فى بار اللواء ، وبالرغم من أن الديب أشتهر بأنه جبان فروقة ، إلا أن الحظ وحده جعله بطلا يصرع الشيخ أحمد العسكرى ، واشترك الشاعران الكبيران على محمود طه وكامل الشناوى فى تأليف قصيدة أنشداها فى حادث « الخناقة » المشهور وقد رد عليهما الديب الشاعر المصارع الصنديد بهذه القصيدة ونشرتها صحيفة « فتى النيل » يوليو ١٩٣٩

أمــا كنتــمــا تســتــوكــفــان مــدامــعــا

لمحنــة عــيــشــى أو أمــوت مــغــامــرا

لقـــد قلتـــمـــا هــذا هــزبر وإنــه

من الـشــاء والمـعــزى أرى الشــيــخ ظاهرا

« على الـلـه » عــاش الـشــيــخ طـول حــيــاتــه

فـــلا ولدت أم ســواه عـــســـاكـــرا

فـــجـــعـنا به حـــرا وعـــبـــدا مـــوســـرا

فـــإن قـليـــلا أن يرى الشـــيــخ شـــاكـــرا

وبعـض العـــبـــيـــد المتـــرفين تبـــتـكوا

فـلم نـرمنهم فـى الملـمـــات ناصـــرا

يطـول عـلـى مـــولاه عـــبـــد تـركـــزت

بـه لعـنـة الأخــــلاق لـم يرع خــــاطـرا

أيقبض هذا الشـيـخ عشرين « أهيفـا » (١) ومثلى

يـــطـــوى الـــدهـــر عـــطـــلان بـــائـــرا

ســلام عـلى الدنيـــا إذا بات مـــســـعـدا

بهـــا "عـــسكرى" رام بـالضـــرب شـــاعـــرا

---

(١) عشرين أهيفا : أى عشرين جنيها

إلى آكلى الذهب

ذوقـــوا عـــذاب الطوى يا آكـلى الـذهب
لا تتــركــوا الـناس نهب الجــوع والـوصب
أحــيـــاء بالـدورمــوتى لست تـعــرفــهم
مـــاتـوا من العـــز أم مـــاتـوا من الســـغب
وصـــابريـن يكـاد الجــوع يطعـــمـــهم
مـــثل البـــهـــائم ســـوق التبن والحـطب
يطـوون ليلـهم ســـهـــدا ومـــســـغـــبـــة
وليـلكم ينـقـــضـى فى الـلهــــو والـطرب
شـــبـــعـــتم من أفـــاويق الـغنى فـــدعــوا
للـجـــائعـين فـــتـــات الـغنم والسـلب
لقـــد جـــبنتم عـن الهـــيـــجـــاء مـــعـــذرة
فـــخلـتم الموت بعـض النصـــــر والغـلب
لـــســـتم مـن الشـــعـــب فى ديـن ولا خلـق
ولـيس مـنكم عـلى جـــــاه ولا نـســب
ومـــالكم فى ســبــيـل المجـد مـــفـــخـــرة
غـــيـــر التـــبـــجح بالألـقـــاب والـرتب

شر المهالك

تراكمت الديون على الديب عند المالكى بائع الألبان ، فرفض أن يستمر فى إعطائه الألبان بالأجل ، فكتب الديب يهجوه :

بـرئ منـك مـــــولانـا ابـن مـــــالـك
رمـــــاك الـله فـى شـــــر المهـــــالـك
لبـــــانـك كـلـهـــــا سم زعـــــاف
ومـن غـش الـبـــــريـة رأس مـــــالـك
فـــــويـلـك من رجـــــال الحـى طـراً
ونـســـــوتـه إذا علمـــــوا بـذلـك !

فى حانة " كركور "

وبعنا زجاجات الطِّلا بعد شربها
لنظفر من أثمانها بكئوس
فيوماً شربناها بعَيْن وفضَّة
ويوما شربناها ببيع نفوس
وشمْنا من « العقاد » أندل باخلِ
يضنُّ لدى البلوى بنقْلِ فُلُوس
جزى الله « كركوراً » مُعينا ، فإنه
أضاء ببشر الخَمْر لَيلْ عبُوسى
وبدَّل ماءُ الخُلْد حُزنى بشاشةً
ففارقنى كربى وشدَّةُ بؤسى

* عبث سيد محمد العقاد بالديب حين وعده بسهرة ممتعة ، ستنسيه حرمانه ، ثم أخلف ، فاتجه الديب إلى حانة « كركور » الأرمنى فمنحه زجاجة أنسته حرمانه وغضبه وردت ابتسامته إلى ثغره .

بين الهجاء والشكوى والفخر
مختارات مأثورة للديب

ويارب مـــــا يومى وأين منيـــــتى
أمـــالى حـــتى فى المنيـــة مـــوعـــد ؟ . . .

* * *

بالأمس كنت مـــــشـــــردا أهليـــــاً
واليــوم صـرت مــشــرداً رســميـــاً ! . .

* * *

وفى مــكـنـتى أن أزحــم الـنـجـم مـنـزلا
أقـــابلـه فى برجـــــه وأســـايـره
وفـــوق احــتـــمـــال قـــد أجـــاهد ظافـــرا
فـــتـظهـــر لى من كـل أمـــر ســـرائره
ولـكنـنى فى شـــرعـــتى لـكرامـــتى
يقـــــدر لى فى كل خـطو عـــــواثره

* * *

كـن دائـمـــــــا ذئـب الـفـــــــلا
إن أصــــبـــــحت دنيـــــاك شـــــاة

فــــالدهر أكـــــثـــــر أهـلـه
مـن أدعـــــيـــــاء لا دعـــــاة

* * *

بيـنـى وبـين الـغنـى خـــصـــام
وفـــرقـــة مـــالـهـــا الـتـئـام
فـلـو تـدانـى إلـىّ يـومـــــــا
لـرده عـنـىَ الحـــمـــام ! . .

* * *

أعـــود الـيـــوم لـلربـع المحـــيـل
ولـؤم الـنـاس مـن قـــال وقـــيـل
بقـــهـــوة عـــسـكر يـنـبـــوع بـؤسى
فـــيـــاالـلـه مـن بـؤس طـويـل

* * *

أنا فـى الليل عـلى ســهـــدى شـــريد
والأسى يـعـرف من عـــبـــد الحـــمـــيـــد
غــيـــر أنى فـى يـد الجلّى جليـــدْ
لستُ أنسى همـــتى مـــادمتُ حـــيًّـــا

* * *

لو ذاق هـذا الورى مـــعـــشـــار مـــحنتنا
مـــا قـــاربوا عـــيـــشـــهم دنيـــا ولا دينا
لـم نرتـقب فـــرجـــا فى يوم كـــربتنا
إلا وكـــان لنا ضـــيـــفـــاً يـوافـــينا

* * *

فنظمتُ قلبى والوفـــاء قـــصـــيـــدة
تروى عـلى الأحـــقـــاب والأجـــيـــال

* * *

كلٌّ يغنِّى عـلى لـيـــلاه مـــتَّـــخـــذا
لـيـلـى من القش أو لـيـلى من الحـطـب

* * *

تـفـــيَّـــأت الـدنيـــا مـــديد ظـلال
ومـــدَّ عـلى قـــومى رواق جـــلالى
وطـال حـنـيـنى لـلـغـنـى ، ولـو اننـى
حـننت إلى وجـــه الإله بـدا لى ! . . .

* * *

ثيـــابى كـــمـــصـطاف الـغنى نـوافـــذا
ومـــشـتى الـفـقـيـر ابن الـسـبـيل هشـيـمـا

ولى غرفة كالقبر لم تحو أرضها
سواى أثاثاً كالهباء قديما . .

* * *

طلعت مع الشمس من مشرق
وعشت الزعيم فلم أسبق
أنا ملك عبقرى الجلال
وأن صدف التاج عن مفرقى
فمالى تجافت بحظى السماء
كأنى يارب لم أخلق

* * *

أولست تدرى أن دونك أمة
تهوى الرفات وتعشق الأحجارا
يحيا الأديب بها طعين سنانها
ولكم يعانى ذلة وصغارا
وإذا قضى قامت على تمثاله
تذرى الدموع وتنثر الأزهارا

* * *

أنا ، أو إبليس للدنيا عَمىً

هو خافٍ ، وأنا أبدو جليا

* * *

قالوا « كريم » قلت : ما برهانكم
الكف معطية هى البرهان
فالله لو لم يحبنا بعطائه
ما كان إيمان ولا أديان
قل للذى أطريته فأدنته
منى الجميل ومنكم الشكران

* * *

ضلت الأقدار تقسيم النعم
قسمة ضيزى ، وأخرى عن كرم
كيف يعطى الراحة الكبرى صنم
ويذوق البؤس حُر عالم !

* * *

هجتها شوقا ، فقالت « هيت لك »
والهوى يغرى على الفسق الملك
ارحم المسفوك والعن من سفك
« لست مظلوما ، فإنى ظالم » !

* * *

بُليت آخـــر عُـــمـــرى بالمرائينا
الـواقـــفين عـلى باب الـثــــريّـنا
من كـل شـيخ قـد التـفت عـمـامتـه
عـلي المذلّة يطوى عـــمـــره هـونـا
غـنيٌّـــهم باع من غـــلات بلـدته
خـــبــثـــا ، وطـالعنـا نذلا يبـــاهينا

* * *

بار اللـواء جــمــعت بـعض كــتــائبٍ
والحـــقـــد فـيــهم مــســتـبـدُ مـتلفٌ
وقــفــوا كـــمـــا وقف الزمـــان بمحنـتى
لدمـى البـرىء جـمــيـعـهـمُ يستنزفُ
أأعــيـش بينهم شـقـيّـا مـعـدمـا
وهـم غـنـى نـاعـم ومـــــوظّـفُ .

* * *

إيـه يا عـــبــد الخنا مـــا أنذلـك
عُـــدْ إلى النخّـــاس تعــرف منزلـكْ
تـشـــتم الـدّيب وكـمْ مـن مـــحـنـةٍ

يشـــتم القــدّيسُ فـــيــهـــا والمَلَك

* * *

عـــمـــة تحـتـــهـــا ضـــلال ولؤم
وهـــى عـــش الخـــنـــاويـــيـــت الـــداء
نســـجت من ســـفـــاهة وفـــســـوق
وعـلـى الخـــســـّـــة انطوت والـريـاء
أطعـــمت ربّهـــا دجـــاجـــاً حنيـــذّا
وســـقـــتـــه « الكونيـــاك » بعـــد الماء ! . .

* * *

((بـد ..)) لـــم أنـس ولـــم تـــنـــســـنـــى
فـكـيـف يـا ابن الأمـس أنـكـرتـنـى ؟
ان كـنـت ذقـت الـيـــــوم طعـم الـغـنـى
فـلـيـس هـذا الخُـلـق طـبـع الـغـنـى
يـا مـــدره المرأة مـــهـــتـــوكـــة
ويـاَ مـــحـــامـى النَّذل والأرعنِ
مـــا زلت شـــيـــخـــا نابيـــا خـلـقـــه
فـــأنـت والعـــمّـــة من مـــعـــدن

* * *

شمته الروض أريجا .. فذوى
خلته النجم ضياء .. فهوى
وإذا أنشد شعرا أوروى
ضجت الدنيا وضاق العالم

* * *

إذا جن ليلى آكل السهد جائعا
ويأكلنى سهدى ، ودمع جفونى
وإن لاح صبح أسلمتنى للأسى
عيون خصومى أو خصوم عيونى

* * *

الجود عندكم ، أضغاث أحلام
أكل الذبيحة من عام إلى عام

* * *

وثوى فى « الخان » أوشاب العجم
مُكرمو « الغلمان » أعداءُ الكرم
صائدو الأطيار من بين الحرم
لست مظلوماً .. فإنى ظالم

* * *

إيه يـا فـصل الـشـتـاء ياعـدو الفـقـراء
خـانني فـيك غـذائي ، خـانني فـيك كـسائي
حين عـز الدفء فـي داري وعند الأصـدقـاء
قلـت لله تـعـالى أجـعل النـار جـزائي

* * *

أأبكـي وشـعـري بـين قـومي يـغـرد
وأفنـى وذكـرى في الـوجـود مـخـلد
وأشـقى الـربع جـانبـه الحـيـا
وفـي الكـون آلاف بـعلـمي تـسـعـد
ولو لـم يخـافـوا اللـه قـالوا صـراحـة
" أعـبـد الحـمـيـد الديب " إياك نـعـبـد

* * *

نعـل تعـالى عن الإكـبـار والـعظـم
توّج بـه الرأس لا تـلبـسـهُ في الـقـدم
لو كـان فـي رجل « مـوسى » يـوم مـوعـده
لـكـان أقـدس مـن واد ومـن عـلـم

البدر فى ليلة الغارة

أخـــافـنا البـــدر فى الهـــيـــجـــاء والـنور
فـــالنـور فى مـــحنة الغـــارات مـــحـــذور
ومـــا تـعـــود منا البـــدر جـــفـــوته
لكـن من خـــاف منه الموت مـــعـــذور

* * *

هل الـــســمــاء تحـــدانا مـــشـــارقـــهـــا
ومـــا قـــضى اللـه لا يخـــفـــيـــه ديجـــور
كـــأنما البـــدر جـــاســـوس يتم بنـا
وكم بمشـــرقـــة قـــد بات مـــســـتـــور
أو أنـه نيـــــة ســـوداء يـعـلـنهـــا
للـكيـــد مـــضطـلع بـالدرس مـــصـــدور

* * *

يابدر تـظهـــر فى الغـــارات مـــفـــتـــضـــحـــا
لأنت يـابدر نـشـــوان ومـــخـــمـــور
يامـــشـــعل الموت فـى قـــوم يـفـاجـئـــهم

وليس يدفعـــــه رأى وتقـــدير
قـــد تلـعن العين حـــسن الروض إن سكـنت
به الأفـــاعي وحـــاكـتــه الأعـاصــير

* قيلت عام ١٩٣٩ أثناء تعرض مدينة القاهرة للغارات الجوية فى الحرب العالمية الثانية .

بأى قوانين الحياة نداس ؟

بـأى قــــوانين الحـــــيــــــاة نُســـــاسُ
وفـى كـل يــوم بـالـطـغــــــــــام نـداس ؟
خـلقـنـا بجـــــيل ذلـة المرء بيــــتـــــه
عـلى قـــــــدرة فـى النـابـغين تقـــــاس
فـــعـــشنا ضـــحــايا للـمــواهب والحــــجــــا
تـرينـا ديـار بـين مـــــــصـــــــر ونـاس
إذا مـــــا أبينا الـذل قــــالوا : تـكبــــــرا
ويغـــتـــــابنا فى الـعـــــالمين جـــســـــاس
وتـقـطع أيـديـنـا تـقــــــدم بـالـهـــــدى
وأيدى الـلـئـــــام المجـــرمـين « تبـــــاس »

عيدى فى السجن !

على القرب من سجن الرئيس وصحبه
وقفت على صمت ودمعى ينطق
ذكرت أحبائى فذابت حشاشتى
وقد كان يضنينى إليهم تشوق
لك الله ياقلبى حزينا محطما
فدمعك من دمع المحاجر أعمق

* * *

أفى العيد أم فى السجن أنظم باكياً
وأيهما فى حلبة السجن أسبق
فأعياد هذا العهد أمست مآتما
تكاد بها الأرواح بالفقر تزهق
قبيل بها للشاء يذبح هانئا
وآخر مذبوح من الفقر يهرق

★ يقصد بالرئيس هنا « أحمد حسين » رئيس حزب مصر الفتاة (١٩٣٩) الذى كان معتقلا يومئذ فى قضية سياسية .

دنياى

دنيـــاى أنت لغـــيـــرى مـــصــــبحٌ ألقُ
وأنت طيلة عـــمـــرى الـليـل والغــــسقُ
حـــرمــــتنى وســقــيت الناس من غــــدق
كـــأننى هالـك والناس قـــــد خلقـــــوا
إن التى حـــرمــــتنى قـــبلةً خــضــعت
لأنـف وغـــــدٍ وأفنى حــــزنهـــــا النزق
ياوقـــــعــهـــا طعنة فى العـــيش قـــاتـلة
جـــرحي بهـــا مـــالـه شـبــــه ولا نسق
إذا سلـكت اللظـى فى العــيش مـــرتجــيــا
بعض الكفـــاف كـــوتنى دونهـــا الحـــرق
مـــر القـــفـــار كـــفــافى إن ظـفـــرت به
وفى حــــريرىَ ذا المتــــــروك والخـلـق
يـارب قــــــــد لـعنونى فـى ديارهـم
وهـلهـلـوا دونى الآثام واخــــــتـلقـــــوا
والصـــادقـــون إذا مـــا أشـــفـــقـوا كـــذبوا
والكـاذبون إذا مـــا صــرحـــوا صـدقـــوا

آخر الأناشيد

طالت عليّ السنون واعتصرت
دمي .. وأوهى عراكها دمي
وليس بعد الشباب لي أمل
ففيم أبقى ... أما مضى زمني

* * *

حظي(*)

إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه

---

* اختلف النقاد حول نسبة هذا البيت للتيب ، لكن رجح العديد من معاصريه أن التيب أطلق هذا البيت في لحظة من لحظات بؤسه وثورة نفسه ، ويدللون على ذلك أن التيب في أيام زواجه الأولى عام ١٩٣٩ لم تكن تسعه الدنيا ، وفي لحظة من لحظات الصفاء النادرة التي أحس فيها أن الدنيا ابتسمت له سئل هل مازال متمسكا بعقيدته في سوء حظه الذي عبر عنه ببيته الشعري المشهور هذا ، فأجاب : لقد ابتسمت لي الدنيا الآن ، وأنشد قائلا :

إن حظي كدقيق فوق ورد نثروه
ثم قالوا لأكف ناعمات يوم عيد اجمعوه
سهل الأمر عليهم ، قول من قال اتركوه
إن من أعطاه ربي كيف أنتم تحرموه

لماذا شقيت

قـــاضىّ حـــاذرْ واعـــدل
وانـــظر مـــكانـــى مـــن عـلٍ
كُـــسيتْ ضـــيـــائى النيـــرات
وأشـــــــرقت مـــن مـــنـــزلـــى
والـــــروض غـــنّـــــى وارتَـــــوى
مـن نـغـــمـــتـى أو جـــدولى
وجـــعـلتُ مـن حظى وعـــيـــشى
قـــســمــــةً ... للمـــجـــتلى
فـــاذا بى الهـــمل الشـــقىّ
أُســـــام بـخس ... المُـــبطل
نجـــــم هــــــوى ، روض ذوى
مَـــيْتٌ ثوى فى مـــجـــهلى
قـــد غـــيض مـــائى .. عىّ دائى
مـن قـــضـــائى المبـــتلى
فـى كـل يـوم مـــــحـنـة
مـن صـــحـــبـــتى أو عـــذّلى

* * *

آمـنـتُ بـالـقـــــدر الخـــــفىّ
وبـالـقـــضـــــاء المـنـزل

والله أعدل أن يعذّب
شاعرا لم يجهل
لكنّ قومي حاسديّ
وتاركيّ بمعزلِ
إن كان شعري مسلميَ
لحواسدي .. لا أمّ لي
حطموا الغصون الراقصات
وأردفوا .. بالبلبل

* * *

يا ليل .. ياصبح .. اعطفا
لمعذَّب ... متعطّل
أرتاد أبواب الجَهاد
فينبري لي عذّلي
هذا يجرحني .... وذلك
يمعن في مقتلي
فأموتُ إذ يحيا الطغام
بنعمة المتفضّلِ
يُكسوْن من غالي اللباس
وأكتسي بمهلهل
شربوا نميري .. بينما
أروى بفيض الحنظل
يا طالما ... طالعتهم

فـي أُنسهم وتبلبلي
فتضاحكوا وتغامزوا
من كربتي ... وتجملي ..
وبكل يوم يرقبون
ضراعتي وتوّسلي
وأنا أزيد ... كرامةً
مهما تضاعف محملي
وأريهم الضدَّين في
ضحكي ودمعي المرسل

* * *

وحكومتي إنْ رمتها
لظلامتي لم تقبل
ولو أنني رمتُ .. الحجارة
فُجّرتْ عن سلسل
أولستُ من شعب المليك
فأستظل وأجتلي
ألكم جميع حبائه
طول الحياة وليس لي
يا منِ سألتَ بقسمتي
عن مَيْت حظي فاسأل
سأظل جهداً أو أموتَ
لعل كربي .. ينجلي !

من شاعر يموت ...
إلى شاعر مات ...

موشك ركبي إلى هذى الرّحابْ
تنقضى الدنيا ... ولله المآبْ
فى طريقى للردى إذ نلتقى
أنا والأحباب فى يوم الحساب
خلّفونى فى الحمى أبكى الحمى
وأُرجّى الموت فى شرْخ الشبابْ
كيف لا أرقب موتى وأنا
طول عمرى كل يومٍ لى مُصابْ
خلّفتْ لى البؤسَ أمى توأماً
بل أنا البؤس ... أنا نفسى العذاب
لم أكن بالهمشرى فى صحّة
أو جمالٍ أو متاعٍ أو رغابٍ
ليت ربى إذ قَضى قد رامنى
وعن المحظىّ للدنيا ... أناب

* * *

كان لى منه وفاء قد خلا
وحماه الله حتى من عتاب
وتناشدتُ وإياه .. فما

عــــبــتـــــهُ أوشــــام لــى شــــعـــــراً يُعــــابْ
شـــــاعـــر أخــــفــــاه شـــعب تـخــتـــفى
بيـنـه الحـكـمـــــــة أو فـــــــصـل الخطابْ
عـن نمـيـــــر أو نضـــيـــــر يرعـــــوى
بينمـــــا يُزهى بتــــمــــويه الســـرابْ

* * *

كـــــيف أحــــيـــــا بينه فى مِـــحـنـة
تمــلأ الأعــين مـــنّـى بــارتيـــــــــــابْ
وأنـــا أســـــــمــع دومــــــــا أو أرى
مــدح شـــعـــرى أو تحــيـــات الرِّقـــاب
وإذا طــالـعتُ يومـــــاً مــــعـــــشــــراً
يتــجـــافى بي .. ولى فــيـــه الصــحـــاب
كـلهـم يـزور عنّى ... مـــــثـلمــــــا
غـضـب الزاجـــر من وجـــه الـغــراب
فـكأنـى لـعـنة قـــد جُـــسِّـــدتْ
أو رســــول لـنشــــورٍ وانـقـــلاب
أطفـــأوا نـورى بتـجــريحى ومــــا
تـركــــوا لـى فى المنى أدنى نـصـــاب

* * *

نم صـــديقى وارتـقــبـنى فى غـــد
وغــدٌ أقــرب من مـــحــو الحـبـاب

لم نمتع بحياة أو غنى
فلنمتّع من تضاعيف التراب
لا يرى الشاعر فى مصر ندى
غير ما تجدى مخازى الاكتتاب
لم نُثب فيما جهدنا .. عُمرنا
فلنصبه اليوم فى دار الثواب

---

* وجه الديب هذه القصيدة إلى روح الشاعر الرومانسى م.ع. الهمشرى الذى رحل عن الحياة فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٨ وهو فى زهرة عمره إثر عملية جراحية .

توبة

تركت الطِّلا حتّى حطَمْتُ كؤوسى
وخاصمتُ ندمانى بها .. وجليسى
ولى من رضاء الله أذكى مدامة
أبيت بها نشوان غير خسيس
شربت الطلا فى ذكر ربِّى فأسكرتْ
فؤادي كئوسٌ لم تدر برءوس
وقد كنتُ إما أشربُ الخمر سادراً
أثيرِ إغاراتي .. بغير وطيس
وأوقدُ من ماء الرّحيق ... جهنّماً
وأرجو سعودى من ظلام نحوسي
وماذا وراء الخمر ... إلاّ رواية
تمثل أحزانى وشدّةَ بوسى
فأسرف إسراف الخليع وأنتهى
إلى عقل مجنون ونوم حبيسِ
فلا الليلِ أشجانّى بسكرى ونشْوتى
ولا الصبّح فى ضوء به وشموس
إلى الله أشكو ما فقَدتُ من الصِّبا
بحانة خمّار وبيت قُسوس
فمن يدعنى للكأسّ بعدُ فإننّى
تخذت الهدى كأسى وروح أنيسى

أحزان العيد

من زائرى بالعيد من بالباب ؟
وهم فقدت به رشيد صوابى
قد خلت بالأصحاب بعض هناءتى
واللؤم كل اللؤم فى الأصحاب
هم قادرون وماتشاء خلالهم
أن يكشفوا كربى وسوء عذابى
لكنهم حذقوا الهروب من الندى
بملامتى فى شقوتى وعتابى
والجسم أصرح فى الردى من خمرة
فيها الردى من تالف الأعناب
ذبحوا الخراف مُخافتين وجددوا
فى عيدهم من فرحة وثياب
أنا لست أستجديهم لكننى
منهم أقر براءتى ومتابى
إن فاتنى عيد الحياة وسرها
سأرى هناء العيد يوم حسابى!

العزيز الذليل

عـظـيـمٌ .. ولـكـنَّ الحـــــــــــوادث أعـظـمُ
وشـــــــهـمٌ ولـكـنِّـي عـلـى الـذلّ مـــــــرغـم
إذا مـــــارآني ســــادرٌ .. بـين مــــــحـنْـتي
حـــــزينا تجـــافى بى فـــأبكى وأبـسم
مـــشـــايعــةً لـلـناس أحــســو مُـداهـــتي
فـــسكرى صـــحـــوٌ والفـــؤاد مـــحطّم
لـنـجـــــــــدة أوطـانـى أخـف إلـى الـوغـى
فـــــمــــــــا راعـنى هـــول ولاردنـى دم
وهلـهلـت شـــعــرى فى اســتــشــارة أمـــتى
وكم صـــحتُ فى قـــومى إلى المجـــد أقـــدمـــوا
سـلـوا عـنِّى الجـــــلاّد كـم هـزَّ ســـــوطـه
بـنـاء تجـــاليـــــدى ... ولا أتـظـلّـمُ
سلوا عـنِّيَ الـسّـــجْـن الـرّهيب كم انبـــــري
بمعــــــقـلـه منّى رفـــــــات وأعــظـمُ
وأســــتنزلُ الـعُـــصْم الحَـــصَـــان من المنيِ
بجـــمــــر من الأشـــعـــار منه ... جـــهـنّم
فـــجـــوزيتُ من تلـك الـبـــلاد ... بما تـري
ســـجـــودٌ لأشـــعـــارى وعـــيـــشيَ مُـــعـــدم
إذا رمتُ عـــيـــشى من جـــهـــودى وهمـــتى

تنكر لى منهم كفورٌ .. ومسلمُ ..
وقالوا أخو كبر ... وفيه مجانةٌ
يؤخر رْجلاً فى العلا ... ويقدِّمُ
ويأكلِ عرضى منهم كلٌّ حاسد
له همّة أخرى وحظٌّ مقدّمُ
تصافحنى أطراف أيد ... أثيمة
ولو قدرونى بالقلوب لَسلّموا ...
ألستُ شبيه الطّير يشدو مغرّدا
لقوم ... ليسليهم ويُذبح ... منهمُ
ألستُ إلها ... كلما لاح نوره
هدى الناس رحمانا وهُمْ فيه : أجرموا

ركب السعداء

مشى الركب لم يعبأ بدمعي ولادمى
وخلفني أبكى على قبر ملهم
على قبر حظى فى الحياة وقسمتى
على ميْت آمالى وعيشى المحطم
تخلفت عنكم مرغما وكأننى
أنا الكافر المنبوذ من كل مسلم
مشى الركب والنعمى تحف بدربه
ويسبق ركب الحظ فى كل مغنم
أكلتم .. لبستم كل خز وعسجد
وقُدْتم حمى الدنيا قَيادة ملجمٍ
وجندتم الأجناد تحت لوائكم
عبيداً لكم مابين نذل ومجرم
رأيناكم فى المجد لم يعد خطبكم
هناءة ميسور ولذة معدم
إذا ما حرمنا الرزق والعرض وافر
فلسنا نبالى العيش بين جهنم !

بؤسى وبؤس طه

عشرون عاما أنادي
ولم أجد لى سميعا
وأنّ طه فأثنت
له البلاد جميعا
يارب حتى ببؤسى
أرى مكانى وضيعا
يبكون عن بؤس طه
ولم يذق فيه جوعا
ولا تشرّد يوما
ولا أصاغ مطيعا
ولا عداه رحيل
لم يرج منه رجوعا
أما أنا ، فترانى
فى كل يوم صريعا
ما مر يوم بعمرى
إلا وكان مريعا
مهاجر فى شقاء
أطويه عريا وجوعا

* يقصد د. طه حسين وكتاباته عن ذكريات البؤس والمعاناة .

أرجو الحياة كفافاً
واليسر لن أستطيعا
وإن بؤست كطه
أرى الحياة ربيعا
مالاً ، وجاها ، وعلماً
وثروة لن تضيعا

البلبل الذبيح

عيون المعزّيٍّ ، أين منك دموعى ؟ ..
وقلب المعزى أين منك هلوعى ؟ ..
لقد ألبسونى التّاج فيٍ ذلّ دولتى
فيا مُلك مغلوب ، وعز وضيع
تعطّرت الدنيا بشعرى فصوّحتْ
بمهزلة الأحقاد زهر ربيعى
يقولون : موهوب على عبقريّة
فهل عبقرى من يعيش بجوع ؟ ..
ولم أدر ما حظ الألُى يهدموننى
سوى أنهم يبغون ذبح صريع
وأسمعت أبراج السماء شكايتى
وللأرضٍ ... لم أظفر بأىّ سميع
إذا رمتُ عيشى عاملا فكأننّى
رجوت يهوذا .. رحمةً بيسوعٍ
فأقدمت للعيش الكفاف مجنّدا
مواهب لم تخلق لغير رفيع

معهد الموسيقى

يا دار داود مافاتتك سَرَّاءُ
يشدو بها مُلهماً غصن ورقاءُ
آسيت كل جراح القلب من نغم
يُرجى به من عيون الفن أكفاء
من عازف أو هتوف إن هما اجتمعا
تجمَّع الحسنُ، والمخضرُّ، والماءُ
وعبقرىّ غناء من ترنمه
تصفو النفوس، فما فى الناس أعداء
فتخلق الحب موسيقاه ملهمة
وكل فن له خلق وإنشاءُ
إذا سرى بين مَوْتَى سحر نغمته
أعادهم وهمُ فى الناس أحياء
والعُودُ كالقلب فى تكوين خلقته
أوتارهُ ونياطُ القلب أنداَء
ولست أهضم «القانون» نغمته
فذاك شيخٌ .. له الآلات أبناءُ
«والنَّاىُ» إن صحب «القيثار» فاستمعوا
صوت العبيد بِذلِّ الرِّقِّ قد ناءوا

للطار والطبل دقات منغمة
كالقلب فى شغف تسبيه حسناء

* * *

يا معهد الفن ، يا أهرام دولته
ويا سماء بها للفن إسْرَاء
فيك العبادة ألحان مقدسة
وكل ما تحتوى لله إرضاء
كم ذا تخرج للدنيا ملائكة
فما لفضلك تقدير وإحصاء
كانت عواطفنا مرضى فكنت لها
بُرءاً أقام بها ، واستؤصل الداء
جعلت تربية الأوطان مرهفة
والفجر يُمْحَى به ليل وظلماء

هات المدام

هات المدام فدين الله تيسيرِ
فأسعد الناس مخمورٌ ومخدور
هات المدام ولاتعرض لمتْربتى
مهما غَلا العيش لَم تَغْلُ القوارير
هات المدام الصَّبُوح البكر يحملها
إليك أخنسُ سَاجى الطِرف مغرور
إذا دعوتَ تراخى عنك مُعتذرا
وأسكرتْ كالطِّلا منه المعاذير
فديتها حانة «الخاخام» هادئة
سكْرى يُعربدُ فيها الحُسْنُ والنور

ليتنا مثلهم

نعيب الحضارة، عيش العراء
وورد العيون وسكنى الخباء
ومن لى بعيش بها فى كفاف
وخلق رضىٍّ كصفو السماء
ومن لى بصبح تهب الخزامى
به فأصيب المنى والرجاء
لقد محلت فى القصور النفوس
فكل الذى تجتليه رياء
وبين الحضارة مات الندى
ولم يعرف الناس معنى الإباء
وبين الحضارة عاش النفاق
فكل الذى شاءه المال شاء
فلا مستجير يرى منجدا
وكيف يجيب الأصم النداء ؟
ولا وطن ريع يلقى يدا
تزور وقلبا يضم الوفاء
جمال البداوة أو مجدها
بعيد عن اللغو والأدعياء
جمال من المضرىِّ الأبى

عظيم الخلال عظيم البلاء
إذا هاجم الجلسة الفاتحون
تصدى الرجال لها والنساء
وأرخصت الذادة الروح كبراً
وهان عليهم عزيز الدماء
وفى الخطب لم يذكروا أى خلف
ولم يعرفوا بينهم من عداء
جوار الشباب يهب الشيوخ
إلى الحرب كلهم أوفياء
فأين الحضارة من عيشة
بها كل رأس يمس السماء
وأين الحضارة من جنة
غنى النفس فيها بعود وماء؟
وأين الثريا وأين الثرى
وأين من البدر هذا البهاء؟

أحزان الأسد

مشى يختال فى الغابه
له الأدغال أوابه
فلا يشحذ عينيه
لما يلقى .. ولانابه
له كبر يعذبه
وكبر الليث ماعابه
حسير اللحظ همته
لدى الأرزاء وثابه
وئيد الخطو وثبته
إذا ما اهتيج غلابه
وحوش الغاب خاشعة
أمام الليث هيابه
فلا منها أخو شمم
يغلق دونه بابه
ولا عاص ولا حاقد
على مولاه أسلابه
إذا ما الجوع أرغمها
أتت تمتاح أعتابه
إذا ما رابها زمن

فليست منه مرتابه
يراها فى معيته
أعابده وحجابه

* * *

فجرّتْ شرة الإنسان
للضرغام أوصابه
تصيد شبابه فرحا
يغذى منه آرابه
وخلى الفيل فى حرق
فيالله ماانابه
فجاء الليث ملتهبا
تخال الموت إرهابه
فلم ير شبله ورأى
لذئب الشبل أثوابه
فجن جنونه وجرى
وكل الكون قد رابه
ومن ترجيع زأرته
أقام البعث فى الغابه
وحارب حرب موتور
أعاديه وأحبابه
فهد الثقل قوته

وأضـنى مـنـه أعـــــــصـــــــابـه
ومـن يفــــــجـع بـواحــــــدة
ســــــقــــاه زمــــانـه صــابـه
فــــمــــات الـلـيث منتـــحـــرا
بمدمـــــعـــــه ومــــا انتـــابـه
ودمـع الـلـيـث يـقــــــتـلـه
ويـفـنى فـــيــــه أحــــبــــابـه

جنة وصحراء

ما راح فى محنة الأيام أو جاءَ
إلا أضاف إلى البأساء بأساءَ
وإن تطلب غيرى عيشه رغدا
كانت له الناس والدنيا كما شاء
والدهر منى كأنى عبقريته
ما آدنى إلفه بكرا وإنشاء
زلت بمصر نفوس النابغين بها
فكم أهينوا بها موتى وأحياء
والجهل فى الشعب يعميه فليس يرى
إلا الكفايات والأكفاء أعداء

* * *

يا مصر.. ياجنة الدنيا ونعمتها
لم تلف بينك لا زرعا ولا ماء
أطاعت للناس خلدا لا نفاد له
بينا نداك طوال الدهر صحراء
إذا مرضنا وآدتنا مواجعنا
كانت منياتنا فيك الأطباء
وإن عشقنا وجدنا فى صبابتنا
كانت عواذلنا فيك الأحباء

وإن شربنا بكأس ، فالرحيق بها
دموعنا وحمياها غدت داء
فأى حال نرجيها لتسعدنا
يارب أهلك بهذا الشعب حواء

النجوم

أنجـــوم أنت أم دمع الســـمـــاء خـبـرينى
أم جـــواسـيس علينا رقـــبـــاء كـل حـين
أنت يـا أنجم أســيـــاف الـقــضـــاء فـارحمينى

* * *

عـــاشـقـــات أنت فى ثـوب الـسـهـــاد لـن تنـامـى
كـلـنـا جـــانـبـــه طـيـب الـرقـــاد فـى الـغـرام
لـيـس يـثـنـيـنـا إلـي يـوم المـعـــاد أى هـــون

* * *

يـالحـــاظ الحـــور من بـين الجنـان وامـضـات
يانـقـــودا ضـــربت أيـدى الزمـــان خـــالدات
يا عـــقـــودا فـوق أجـيـاد الحـســان ارحـمـينى

موت القمر

طلع البدر غريقا
بين أمواج الغمام
لايرى فيها طريقا
بالغاً برّ السلام

* * *

وأنا أرنو إليه
بين يأس ورجاء
طرت من حزنى عليه
فوق أسباب السماء

* * *

صحت فى الأنجم أبغى عونها
فى خلاص البدر من موت مشين
فتولت وتجلى حقدها
كيف يرجى العون من خصم مبين

* * *

قلت يا أرض : انجدى بدر السماء
واذكرى إشراقه بين الظلام

---

* يعتقد الليب أن القمر «شاعر السماء» ، وأنه «شاعر الغبراء» ولهذا أنشد هذه القصيدة يصف فيها تقاعس الكون عن نجدة القمر وهو يموت .

إن فجعنا فيه فالدنيا هباء
وعلى الأرض ومن فيها السلام

* * *

فعرا آذانها وقر صنيع
وتعامت عن دموع المستجير
وبدا فى وجهها لؤم وضيع
يظهر الحقد على البدر المنير

* * *

أيها المدلج : هل تنسى مجيرك
من تجلى عطفه بين سراك
أيها العاشق : هل تلغى شعورك
فى هلال البدر .. ما أقسى هواك

* * *

انظر الورد يناجى
حسنه بين الخميله
انظر الطير يهاجر
دونه حتى خليله

* * *

ليس غير الحسن يبكى للجميل
ليس غير الطير والورد النضير

ليس للبدر حبيب أو خليل
غير شدو مستجاب أو عبير

* * *

هكذا فى الأرض يقضى
شاعرٌ وفى السماء
كل من فى الكون يغضى
عن شقاء الشعراء !

عرس المليك

أنات محروم ، وذلة عافى
وشقاء مغمور المواهب خافى
وأجوس جنّات النعيم إلى العلا
فإذا بأرجاء الجحيم مطافى
والناس قد جعلوا ازدرائى فكرة
توحى بها الأسلاف للأخلاف
وحرمت حتى من حنان عشيرتى
لا راحمى أهلى ولا أُلاّفى

* * *

أأصوغ فى عرس المليك قصيدة
وأنا إلى الموت الرهيب زفافى؟ ..
وطويت عمرى لم أفز بحليلة
إلا حليلة عزتى وعفافى
لو كنت من شَعب المليك نظمتها
من مهجتى وعواطفى وشغافى ...!

(*) قالها عندما طلب منه تهنئة الملك فاروق بزفافه عام ١٩٣٨ على الملكة فريدة.

حتى الرغيف فقدناه ! ..

عـــادت لـيـــالى ابن يعـــقـــوب ودولـتـــه
وآدنـا المحـل لا مـــــاء ولا شـــــجـــــرُ
نـرعى الـهـــشـــيم بـواديـنا عـلـى ســـغـب
والـيـــانـع الـنـضـــر يـرعى الـشـــابـع الـبطر
إذا اســـتـــغـــثـنا طبـيـــبـــا فى مـــواجـعـنا
بـدا لـنـا جـــــرحـــــه والمـوت يـنـتـظـر
وكـم ســـحـــاب رجـــونـاه لـيـــمـطـرنـا
فـــجـــادنـا من نـداه الجـــمـــر والشّـــررُ
حـــتى الرغـــيـف فـــقـــدنـاه ولا عـــجَـبٌ
فـنحـن فى أمّـــة أيـامـــهـــا عـــبـــرُ

* * *

فـى الحــــرب والـسـلـم نـشـكـو لـيس يـنـجـــدنـا
إلا خـــــبـــيـث يـردّيـنـا ويـعـــتــــذر
أحـــيـــاء مـــوتى مـن الـبـلـوى وكـم مـــحـنٍ
يـبــدو بـهـــا يُسْـــرنـا والـبـــؤس يـســتـــترُ
أجـنّة الخـلـد فى مـــصـــرٍ مـــصـــوّحـــةٌ
والـنّـار فى غـــيـــرهـا لـلـخـــيـــر مـــدّخــرُ ؟

منع اللحم ! ..

((منعت الحكومة عام ١٩٤٠ ذبح اللحوم ثلاثة أيام فى الأسبوع فكتب الديب هذه الأبيات اللاذعة)) ..

كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجَّى غير مسموع
قد حرّموا اللحم فى يومين هل علموا
أن ليس فى فعلهم زين لتشريع
حكومة الفقر والأيام قبلهم
على الورى حرمته ألف أسبوع ! ..

بين الوطنية والفاقة ! ..

رضـــيتُ ، ومن يَمْــرنَ على حـــزنه يَرْضَى
فــيـاظلَّ أحــلام تقلّص وانفــضّــا
ويا ســامــر الدنيــا ومــوكب يسـرها
تجــاقــيت بي نقْــلاً وأنكرتني فــرضــاً
كــأني بين الناس لعنة جــيـلهم
فــمن شــمْتُ منه العــيش أوسعني رفـضــا
ويحـــتــال حــتى مــا يُفــرّج .. كُــربتي
إذا عيّ بي كــلاّ ، يجــرّحني بعــضــا

* * *

وقــدمتُ نفــسي للبــلاد بخطبــهــا
فــداءً ، فــســامــتني نواظرها غــمــضــا
أحــتى إذا قــدّمتُ مــســتــكرهاً دمي
لشــعــبي ، أســامُ البــغض منه فــلا يرضى
يعــدّونه مني انتــحــاراً لفــاقــتي
ولسنا ضــحــايا البــؤس مــثلهم مــرضى

* * *

أيملأ هذا الشــعب حــبي ورحــمــتي
ويفــجــعني في كل مــضطرب بغــضــا ؟
أريد ســمــاءً بالجــهــاد تعــزّني

وشعبىَ يأبى أن يُبَوِّئنى أرضا
أحولىَ هذا الرعد والبرق وامضاً ..
وتخبو حياتى لا أشيم بها ومضا ؟ ..
لقد جنّدتنى الحادثات لحربِها ..
فأى حقوق للبلاد بها تُقضى
قضاء بإعدامىَ غداة شبيبتى
عجزت فلم أملك لضربته نقْضا

* * *

أريد انتظامى بين أجناد أمتى
أقدم قرباناً شبابى لها غضا
ولكنّ عجزى عن كفافى يؤودنى
فلم أدْرِ طولا للجهاد ولا عرضا
لئن كان عزمى ماضياً ، فنوائبى
إذا عصفت بالعزم ظافرة أمضى

ثورة محروم ! ..

((نظم الشاعر هذه القصيدة الصارخة عام ١٩٣٩ حيث تعرض بسببها للكثير من المتاعب))

بكم يباع غباء الناس فى بلد
لا نافعى بينه علمى ولا أدبى
القابضون على أسباب نعمته
من آكلى العرض أو من آكلى الذهب
والمرسلون لتثقيف العقول به
جهابذٌ فى استراق الفكر والكتب
فرضٍ على شعب مصر أن يدين لهم
كالسّامريين بين العجل والقرب
أين السجون لنغشاها فتنقذنا
من سجننا فى غيابات من الكذب
متى تحرّرٍ شعبٌ من مضلّله ..
لان العصى له فى كل مضطرب
سلوا موالية الأفكار أى هدى
فى الليل ، أيٍ ندى فى النار واللهب ؟ ..
بمصر كلّ غبّى ساكنٌ فلكاً
والعبقرىّ بهـا سكناه من حطب
من لى بيوم .. ضريح أستجّم به
فى يقظة النصر أو فى صرعة الغلب ! ..

الطائرة الساقطة ! ..

((يصف عبد الحميد الديب فى هذه القصيدة الطريفة سقوط طائرة ألمانية فى مدينة الإسكندرية عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية))

يحـــــمى الإله مـــلائكا قـــذفـــوك
وســـقـــوا حطامك منِ دمـــوع بنيك
أغـــروك بالأرض الحَـــصَـــان من الردى
باسكندرّية ليـــتـــهم نصـــحـــوك
كم ألف قـــاذفـــة توارى نجمـــهـــا
قـــذف الكمـــاة بهـــا كـــمـــا قـــذفـــوك

* * *

اســـــمع حـــــديث الطائرة
انظر إليـــهـــا صـــاغـــرة
تلك الضـــخـــامـــة والوجـــاهة
فـــى مـــــداها ظـــاهـــرة
كـــانت عـــروس الجـــو تجلى
فـــى هـــنـــاها عـــــاطـــرة
كم غـــــردتْ بين الكـــواكـــب
فـــى الـــلـــيـــالى الزاهـــرة
كم طـــوّفـــتْ كم وقّـــــفـــتْ
ومـــقـــيـــمـــة ومـــســـافـــرة

دارت مع الأفـــــلاك فـــــانقـــــضت
علـيـــــــهـــــا قـــــاهرة
دارت فــلــمّـــــــــا أن طــغــت
دارت عــلــيــــــــهــــــا دائــرة
قــــــــد آمــنــت لـكــنــمـــــــا
لـلـحـــــرب نفس كـــــافــــــرة ! ..

الضرير ...

سجنوا عليك الكون أم سجنوكا ؟ ..
لو أنصفوا فى ظلمهم قتلوكا
تخذوا عذابك أو نعيمك شهوة
وتقاسموك كأنهم خلقوكا
لم يرحموك على عماك كأنهم
حسبوا العذاب على العمى يهنيكا
نم يا ضرير ، ففى عماك سعادة
ألاّ ترى عيناك من ظلموكا
ألاّ ترى أثر الطغاة وجورهم
عرضا ذبيحاً ، أو دماً مسفوكا
ألا ترى الدنيا شخوص رواية
ضلّت وضلوا شرعة وسلوكا
صادوك فاتخذوك لعبة ملجأ
كم عذبوك به وكم ضربوكا
يا شيخ أضناك المشيب أو العمى
فلجأت حراً لم تكن صعلوكا

* * *

فى الغرب كل اللاجئين تخالهم
بين النعيم المستقرّ ملوكا

وهمو بمصر معذبون أذلة
ملكوا على الرق المهين صكوكا
يحيون فى ظل الإسار وضيقه
بأشد من عيش السجون حلوكا
ثاروا وثاروا والحكومة لم تزد
إلا ظنوناً حولهم وشكوكا
وهمو كباقى الشعب فى بأسائه
ظلٌ الحنو به غدا متروكا
رَغبوا السجون من الملاجئ إذ رأوا
فيها الخلاص من الإسار وشيكا

إذا جبن الشباب ! ..

((قال الشاعر هذه القصيدة الغاضبة سنة ١٩٤٠ حينما رأى تخاذل الشباب عن الدفاع عن مصر أثناء اشتعال نار الحرب العالمية الثانية))

أقـلـنـى لا هـززتـك يـاربـاب
فـمـا سـمع الصّحـاب ولا اسـتـجـابوا
شـجـاهم فى الحـمى منّى هتـوفٌ
فـقـال القـوم قـد نعب الغـراب
سـمـا هزجى على نفـخـات صـور
يعـود إلى الحـيـاة بهـا التـراب
فـمـا لمواطنى تملكتـهـم
على الألحـان أسـمـاع كـذاب
أهَبتُ بـهـم إلى بعث فـمـاتوا
كـأن ديارهـمّ منـهـمْ خـراب
ومـن للـدار يحـمـيهـا إذا مـا
لـوى عنهـا الشـيـوخ أو الشـبـاب
إذا جبن الشـبـاب عن المنايا
تخـوض غـمـارها الخـوْد الكعـاب

* * *

نعـام فى الوغى يا آل مـصـر
وفى غـيـر الوغى ظُفـر ونـاب

أبيْن عـــجـــاجــــهـــا نبلى بُخْلف
يؤجـــجــــه انقــــلاب وانتــــخـــابَ
تناســــوا كل حـــرب غـــيـــر حـرب
علـى الأبـواب مــــافـــيـــهــــا ارتيـــاب

* * *

إذا بنتم لمذكــــيـــهـــا نعـــاجــــا
فكل جنوده فـــيـــهـــا ذئاب
وإن عـــاجلتـــمــــوهـا أسْـــدَ غـــاب
فللأسْــــد الغنيــــمـــة والغـــلابُ
تعـــالى مـــجـــدُ مـــصـــر أن يُردَّى
بشـــرذمــــة أخــــافــــوا واســــتَرابوا
دعـــاة هزيمة أشـــــيـــــاع جبن
ومن آرائهم خُــلـق الســــــراب
ومـــا يبـــغـــون حـــربا أو ســــلامـــاً
ولكن كل همــهــمـــو اكــتـــســـاب
إلى الهــبـــجـــاء إنّ بهــا حــيـــاة
ومـــجـــداً لا يـزول ولا يُشـــاب

التضحية !..

((نظمت هذه القصيدة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠)) أثناء الحرب العالمية الثانية.

يا يـوم عـــــيـــــد المنيـــــة
فى حـــــومــــة الميـــــدان
أنـا الفــــدا والضَّـــحـــيـــــة
لـــلـــشـــــعـــب والأوطـــان

* * *

دمـــى وروحـــى وديــعــــــة
وكـــل حـــى فــــــــــان
أنـا إمــــام الطــلــيــــعــــة
إذ يـلــتـــقى الجـــيـــشـــان

* * *

إن مــتّ قـــــربـان قــــومــى
بـــلـــغْـــتُ كـــلّ مُـــنـــايـــا
ولـــن يـــؤّخـــــر يـــومـــى
خـــوْضى غـــمـــار المـنـايـا

* * *

عـــن الجـــدود الـقـــدامـــى
ورثـــت حُـــبّ الـقــــتـــال
إذا شـــرعـت الحـــســـامـــا

دككت شُمَّ الجبال

* * *

التضحياتُ يقيني
وعصمتي وجلالي
بها تألَّق ديني
بين القنا والنِّصال

* * *

أنا العلا والفتوّه
أنا الوغى والكفاح
خلقت عزماً وقوّه
أرى بماضي السِّلاح

* * *

نسيتُ في الحرب نفسي
لما ذكرتُ الوطنْ
له شبابي وبأسي
له حياتي ثمنْ! ..

* * *

خلوا جراحي بجنبي
لاَ تعْجَلُوا بالشفاء
حتى ألاقي ربي
في حلة من دماء! ..

إلى إخوانى التاعسين

مـن رقـص مـــــــذبـوح وأنّ كـظـيـمِ
إحـيـــاء مـقـبـــور وبعْث رمـيـمِ
لا أهـلـنـا تـركـــوا ومـــًا تـرَك الـبـلـى
بـديارنـا الـســوداء غــيـــر رســوم
ونجــوع أو نظـمـــا فـــلا نجـــد النّدى
إلاّ كـــؤوســـا أترعت بـهـــمـــوم
خـطـبـــان فى الدنيـــا يـؤود ... كـــلاهـمـــا
طـرق المـنـون وحُـــرقـــــة المكـلـوم
وإذا شـكـونـا لـلـحـكـومـــــة لانـرى
إلا الـسّــجـــون نـهـــاية المظـلومُ
والـشــعـب يـنـكـرنـا كـنـــأنّـا لـعـنـةً
أو آفـــة تجـتـــاح كـلّ سـلـيـم
فـــذبـولـنـا ودمـــوعـنـا .. وســـقـــامـنـا
تـزويـر أفّـــاك ... وكـــذب مـلـوم
أنـا لا أحـــابى بـل أقـــرر واقـــعـــاً
نـزّهـتُ شـــعـــرى عـن ريـاء ذمـــيـم

بؤس الفلاح ...

كلُّ الحــــيـــــاة بهـــــذه الفـــــأس
مِن أخـــــمص الدنيــــا إلى الرأس
حَـــسْب ابن بجـــدتهـــا وحـــاملها
بين البـــــريّة عِـــــزّة النّفــس
بين المروج عـــروسَــــهـــا تُجلى
وتُزَفُّ مــن عُـــرسٍ إلى عـــرس
كِم أنبـــتت فى قـــاحل ذهبـــاً
وجَـــرْت على الأزهار كـــالكأس
هى فـــرحــــة ، إلا إذا حُـــملتْ
لتـــــشُقَّ رأس الميت بالرمس
فى يومــهـــا غَـــرْسٌ وفى غــدها
جَـنْى لما أجــــرته فى أمس
وتُرى على كـــتف مـــجـــرحـــةً
كـــالتاج مُلتــمعـــاً على الرأس

صوت الفقير ...

فى الحرب المقبلة ...

حــــــربى لأجلك يا بلادى فــــــاسلمى
أفــــــديك يــا وطنــى بــروحى أو دمــى
أأخــــــاف مــن هــول الحـــــروب ونــارهــا
وطـوال عــــمـــــرى بيـن نـار ... جــــهنّم
فــى كلّ يـوم لى حــروب مـــعـــيـــشــــة
عـــيش الكفــــاف بهــــا نهــــاية مــــغنميّ
والجـــوع أيســـر مـــا تـعــانى أســرتـى
وكـــأننا من غـــيـــــر بطـن أو فـم
هزلت جـــسوم بنيـتى وشــقــيــقــهــا
وحـليـلـتـى وأنـا ، فـلـم نـتـــــألـم
فلقـــد مَـرنَّا فى الحـــيـــاة على الأسى
ســـيــان كنا فى هَنَا أو مـــأتم ...
كـم مـــرة قـــررت قُـــتـلـة أســـرتـى
وأداً فـــأرجـــــعنى يـقين المسـلـم ...
أطـوى النهـــــار رهين فـــأسى جـــاهـداً
وأعـــــود ... يـا ويلاه ... عـــــود المرغم
فلمـن تُـرى نصـــبى يـعـــود ثـمــاره؟ ..

(*) نظمها عام ١٩٣٨ ومصر على أبواب الحرب العالمية الثانية

هـى للـغـنـيِّ مُـســـعــــــذبى .. ومـــــحطمى
أشكو إلـيـــه خـــصـــاصـــتى وكــــأنـنى
أشكو إلـي كـلف بـكـيــــدى .. مـــغـــرم ..
يـخـتـــــال ثم يجـــيـــبنى من مـــعطس
نـشـــــوان ، إن حطّـمـــــتــــه لـم أظـلـمَ
والبـــاخل الميـــســـور فـى مـــصـــر يرى
أن الـغـنـى يـوفــــيـــــه إن لـم يـرّحـم
«مـــا البـلشـــفـيـــة» ، مـــذهبى فـــأنـالـه
بمـســاءة حـــتى أفـــوز بـأنـعـم
لـكنّنى أبغى الحـــيـــاة كـــمــــثـلـه
وأنـــــا وإيـــــاه .. نمـــــتُ لآدم
مـــا كـــان من ذهب ولا من فـــضّـــة
بـل كـــــان من لحـم يـقـــــام بـأعـظـمَ
أمـــحـــرمٌ أكـلي ولـبـــسى فـــضلة ..
فـــإن اســتـبـدّ به فــغـيـــر مُـحـــرّم
هـيّـــــا إلى الحــــرب الضـــروس فـــإنـهـــا
هـى وحــــدهـا الـقـــاضـى بـقـــتل المجـــرم
والحـــرب كـــالطوفـــان يطـهـــر بعـــدهـا
وجـــه الـبـــســيطـة من هـوى أو مـــأثـم ..!

صيف القاهره ...

أنارُ الجحيم ، أم القاهرة ؟ ..
ودنياى تلك أم الآخرة ؟ ..
لقد أحرق الليل جمر النهَّار
فما ينقضى القيظ والهاجرة
وصار النسيم كلفح الهْجير
وأنفاس محتضر خائرة
وطول الطريق كطول الصِّراط
تَؤُودُ فظاعته عابرة
ومن يلتمس ما بها من ظلال
فقد باء بالصفقة الخاسرة
فليست ظلالا ولكنها
مثارٌ لنقع من الحافرة
كأنّ بأرجائها فُجّرت
براكينُ غاضبةٌ ثائرة

* * *

ودارُ المعزّ مصيف الفقير
ينابيعه بينها غائرة
فصنعته لاتفيد الكفاف

وسلعته مرّة بائرة
تعدّ الطبيعة أحكامها
على عيشة أبدا جائرة
وكل امرئ عنه لاه حزين
من القيظ أعطافه نافرة

* * *

ومن للفقير وعيش الفقير
يَرى بين أمّته ناصره
دعوني أحدثكمو عن أساهُ
وعن نفسه الحرة الصابرة
فبيْنا دنَتْ للغنيّ الحياة
بمصطافه حلوة باهرة
يعلَ وينهلُ من وردْها
ويَجْنى بها المتع الفاجرة
يعود إليه ربيع الشّباب
وتبدو بشاشته ناضرة
إذا بين مصطافنا معركٌ
تصول به النُّوبُ السّافرة
فيومٌ سقامٌ ويومٌ صيامٌ
ويومٌ جهلنا به آخره
وما ندرك الفرق بين الفصول
فأيامنا كلّها كافرة! ..

أنا .. ورمضان !..

آه لـو يجـــدي بكائى ونحـــيـــبى
لألانتْ أدمـــعى صـــخـــر القـلوب
إن يكن ذا الـصـــوم جـــوعـــا فـــخـطوبى
جـــعلت عـــمرى جـــمـــيـــعـا رمـــضـــان
صـــائم طـــول الحـــيـــــاة
زادهُ تـــقـــــــــوى الإلـــه
صـــابر ، مـــا قـــال آه
أيـهـــا الـنـاس ارحـــمـــوه

* * *

ذلـــك الـــود بـــنـــىّ وبـــنـــاتـــى
يتّـــمـــوا من فـــقـــر عـــيشٍ فـى حـــيـــاتى
وهـمُ صـــــومى لـرّبى وصَـــــلاتـى
لـم يـــرْوا مـــن قـــــادرٍ أىّ حـــنـــان
حـكمـــة الـصـــوم شـــعـــور الألـمّ
فـــاذكـــرونا واذكـــروا كـــيـــد الزّمـــان
صـــائم طـــول الحـــيـــاة
زاده تـــقـــــــوى الالـــه
صـــابر مـــا قـــال آه

أيهـــــا النـاس ارحـــــــمـــــوه

* * *

هــاهــو المغـــــــــرب وافــى ، أيــن زادى؟
وعـــــيــــالى فى ارتقـــاب لمعــــادى
لـيس غـــيــــر الدّمع زادي وعـــتـــادى
مـــــــوقفٌ أقـــــتلُ من وقع السّنان

* * *

أشــعـــروا البــائس شــهــراً بالسُّـــرور
فــــالذى يـهـــدأ بـالجـــوع يـثـــور
إنّ لـلأيّام أفــــــــلاكـــــــاً تـدور
كـم مُـعين ذاق بـؤســاً فـاسـتــعـــان
صـــــائم طـول الحـــــيــــــاة
زاده تـــقــــــــــوى الإلـــه
صـــــابر مـــــاقــــــال آه
أيهـــــا النـاس ارحـــــــمـــــوه

* * *

لا تـروضــــــونا عـلى ذلّ الســــؤال
لـيس يمحـــو عــــزّتى رقَّــة حــالى
أنـا إن قـلّ عــلـى الأيّـام مـــــالى
لــيــس لــلـدهـــر بـإذلالـــى يـدان
لـم يـرعـنى بين حـــــربٍ أو ســـلام
غـــيـــر بخل النّاس فى شــهــر الصّــيــام

يفطر العاجز عن نيل الطّعام
وهو ينعى فطره في رمضان
صائم طول الحياه
زاده تقوى الإله
صابر ما قال آه
أيها الناس ارحموه

البائس فى رمضان !..

صائم طول الحياه(*)
زاده تقوى الاله
ماله فى الناس جاه
صابر ما قال آه
أيها الناس ارحموه

* * *

والذى أرسلكم خير الأمم
جعل الصوم كفيلا بالكرم
حيثما جعتم تُحسّون الألم
إن للمحروم فى المال قسم
أيها الناس ارحموه

* * *

أشعروا البائس يوما بالسرور
تحمدوا بين الورى طول الدهور
إن للأرزاق أفلاكا تدور
والذى يهدأ أحيانا يثور
أيها الناس ارحموه

* * *

(*) كرر الشاعر هنا المطلع نفسه الذى جاء بقصيدته «أنا ورمضان»

للمساكين افتحوا غُلف القلوب
واذكروهم فى شروق وغروب
إن فيهم جيشكم وقت الحروب
احفظوا المسكين من عادى الخطوب
أيها الناس ارحموه

* * *

ابعثوا الصحراء تخضرّ رباها
فجّروا الصمّاء شهداً أو مياها
بلّغوا الأوطان فى الدنيا مناها
إن للمسكين فى مصر أساها
أيها الناس ارحموه

* * *

بيته هذا العراءْ
ثوبه بال هباء
بين صيفٍ وشتاءْ
لم يصب إلا الشقاء
أيها الناس ارحموه

* * *

عاش منبوذا طريدا
يشرب البلوى وحيدا
فليعش فيكم سعيدا
أو يمت حرا شهيدا
أيها الناس ارحموه

صوت الفقير ...

فى تحية رمضان ...

أحـــيـــيـك أم أبكى لطول شـــقـــائى؟ ..
وأطريك أم أضـــفى عليك هجـــائى؟ ..
أيا رمـــضـــان الموســـرين وعـــيـــدهم
ومـــوسم أفـــــراح لـهم وهـناء
يجـــوعـــون إذ يبـــغـــون بالجـــوع صـحـــة
ويبـــغـــون بالإمـــســـاك كل شـــفـــاء
ومـــا ذكـــروا جـــوع الفـــقـــيـــر وعـــسـره
ولا اســـتـــشـــعـــروا بالصّـــوم أى ســخـــاء
ومـــا أمـــسكوا عن شـــهـــوة غـــيـــر بطنهم
فـــمـــا عـــرفـــوا للـدّين ...(*) أىّ وفـــاء ؟ ..
وآليت لم تمررْ بنا .. غـــيـــر باخـلٍ
نـذوق عـلى أيـديـك شـــــــرّ بلاءٍ
وإن كـــان صـــوم النّاس جـــوعـــا فـــإنّنا
صـــيـــامٌ ، كـــمـــا تهـــوى ، صـــبـــاح مـســـاء
ونلقى مـــرىء الفطر صـــبـــحـــا مـــصـــادفـــا
ومُـــرّ الطوى فى مـــغـــرب وعـــشـــاء

(*) كذا فى الأصل .

يؤذّن بالإفطار للنّاس مغربا
ونحن حيارى لم نفز بذماء

* * *

إلى أمم الإسلام أزجى قصيدتى
وماهى إلا منيتى .. ورجائى
لقد وجد الإسلام فى الأرضٍ رحمةً
وأهلوه عاشوا قادة الرحماء
وفى الصوم تذكير المياسير بالطّوى
ليسخوا بفضل المال للفقراء
ولا يعلنون البذل شأن سواهم
فإعلانه للناس لؤم رياء

فى المطار...

((زار الشاعر عبد الحميد الديب مطار ألماظة عام ١٩٣٨ فكتب هذه القصيدة الطريفة يصف فيها الطائرات والمطار وصفا لطيفا فكها)) .

غـــاد يصـــفّق بالنّســـيم ورائحُ ..
أهى الطّيـــور ســـوانحٌ وبوارحُ
تحيـــا حيـــاة .. لامنّيـــة بعـــدها ..
كم مـــات عنهـــا صـــائدٌ أو ذابح
تنســـاب فى الأفق الملبّـــد مثلمـــا
تنســـاب رقْطٌ فى الرغـــام لوافحُ
ولدى الأصـــيل زوارق من فـــضـــة
ومحـــيطهـــا ذهبٌ جلىٌ واضحُ
جيـــاشـــةٌ فى طيـــرها وهبـــوطهـــا
فلهـــا فـــؤادٌ عـــاشقٌ وجـــوانحُ
إن يدْنُ منهـــا النّسْـــر عـــاجله الرّدى
لم ينجـــه أظفـــوره المتـــواقح ..
طيـــرٌ بلا ريش ترى وحـــواصلٍ
لا نائحٌ فى ســـربهـــا أو صـــادح
هى معـــجـــزاتٌ أين بْعـــدُ نبيـــهـــا؟
بل أين «مـــوســـاها» القـــوىّ و«صـــالحُ»؟

* * *

((ألماظة)) وكــــر لـهـــا فى خـــفـــضـــة
هـو للجــــبـــال وللســـمــــاء الـنـاطـحُ
الطـائـرات بهـــا المنـايا جُــمّـــعـتْ
ضـــاق الـغـــزاة بـهـــا وعىٍّ الـفـــاتحُ
للأرض منهـــا مـســتــقـــرٌ بـيـنـمـــا
هى للســمـــاء مـعـــارجٌ ومـفـــاتح
فـلـو انّ فـــرعـــونـاً رآهـا مـــادعـــا
((هـامـــان)) يبنى صـرحـــه فـــيطارحُ
ريّانهـــا للجـــو قـــهّـــار ... ومـــا
يـزهى بـه كِـــبْـــرا .. ولا يـتــبـــاجـحُ
من عَـــاش فى هـذا الـوجــــود ولـم يـطر
فـــحـــيـــاته خـورٌ وخـــوفٌ فـــاضـح
فـــالجـيـل .. طيـــارٌ .. وغـــواصٌ .. ومـنٍ
يطلبْ ســوى هـذا فـــعـــمـــرٌ نـازحُ
ومـن اســتــقـلّ الطـائرٍات يـجـد بـهـــا
عــزمـــا لـه فى الـسّـعْى خطوٌ نـاجحُ
ذكـــرى ابن فـــرناس تـعــيــد لـقــومـــه
حـــدبا عـلى الطيـــران لايتـــســانح

زيارة الهرم ...

((كتب شاعر البؤس هذه القصيدة فى أيامه الأخيرة))

طلعتُ مع الشَّمس عند الهرمْ
يرفّ علىّ أريج النّسيم
وتنفحنى الوْرق حلوَ النَّغَم
أحيّى ملوك العلا والخلود

* * *

صعدتُ هبطتُ بهذا البناء
كأنّى أجوب بروَج السَّماءْ
دلفْتُ إلِى جوفه المستضاء
كأنّىَ أجلو غموض القضاء
أحيىٍ ملوك العلا والخلود

* * *

هنا دولةٌ وهنا صوْلجانْ
هنا عرشُ فرعون بانى الزّمانْ
وموكبه الفخم والمهرجانْ
هنا المَلْك فى أمّة لاتُدانْ
أحيى ملوك العلا وَالخلود

* * *

أرى كـــــاهناً فى خــــشـوع الـصّـــــلاة
أرى مــلــكــا طــائـراً فــى عُـــــــــــــلاه
وقـــــائد مــــــصــــر يُـذلّ الغـــــزاة
يـحّـــــــرقـــــهـم قـــــــادراً فى لـظـاه
أحـــــــــيى مـلـوك الـعــــــــلا والخـلـود

* * *

«نـفـــــرتـيـت» والخـــــردّ الـغـــــانـيـــــات
يـطفَـنْ بـهــــا فى هوى الـعـــاشـــقـــات
ويـرقــــصْنَ فى خـــفَـــــــر شــــاديـاتْ
وبـاسْـم مـلـيـك الـعـــــــلا هـاتـفَـــــات
أحـــــــيّى مـلـوك الـعـــــــلا والخـلـود

الفلاح البائس

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ فى عنفوان الفساد السياسى الذى كان سائدا فى تلك الحقبة بمناسبة شكوى النواب إلى وزير المالية وقتئذ لجوع الفلاح وبؤسه .. فكانت هذه الخواطر التى تفيض أسى وسخطا)) .

علـى أطـلالهـــا سكبـــوا ونـاحــــوا
وبعـــد خـــرابهـــا لطمـــوا وصـــاحـــوا
وكــــانت فى الـغـنى جنات «عــدْن»
بهـــا للخـيـــر أنهـــارٌ وســاحُ
فـــأصــبحِ دوحـــهـــا أوكــار بـومٍ
وبات أجـــاجـــهـــا مـــاءٌ قـــراحٍ
أذلَّ الـرّيـفَ جـــوعٌ وابتـــئــاسٌ
كــأنّ هلاكـــه قـــدرٌ مُـــبـــاحٌ
وكــــان الـرّيـف دور غـنـى وعـــز
وأهـل الـرّيف أمـــجـــاد ســمـــاح
عـلى الـنواب كـــان مـــلام مـــصـــر
فـــهـم لـشـــقـــاء أمـــتـــهـمْ أبـاحـــوا
ألـم تخـــتـــرهُم ســـفـــراءَ عنهـــا ...
ألـم يشــمـلهُـم منهـــا جنـاحُ
قـــد اســتـــجـــدوْا نيـــابتـــهـــا فلـمّـــا
أجـــابت ، صـــوتـهُم عنهـــا أشــاحـــوا

ولـو رحـــمـــوا كـــرامـــتـــهـــا وخلّوا
كـــراســـيـــهـم أراحـــوا واســـتـــراحـــوا
أتـرضـــيـــهـم مـــجـــاعـــتنا وفـــينا
لـكـل الأرض رفـــد وامـــتـــيـــاح
مـــعـــاذ النيل أن نـغـــدو خـــمـــاصـــا
وقـــد أكـل البـــوادى واســـتـــراحـــوا

* * *

إذا الـنـــواب والحـكـــام جـــــــادوا
بـربع مـــرتّبـــاتهـــمـــو أراحـــوا
ولـم يـشـك الـطـوى أحـــــد بمصـــرٍ
ولـم تظـهـــر بعـــيـــشـــتـنـا جـراح
شـكـوتم لـلـوزير شـــقـــاء قـــومٍ
لـهم فى اليـــســـر مـــغـــدًى أومـــراحٌ
لـئن قُـــتلـوا ضـــحـــايا الجـــوع يومـــاً
فـــمـن تفـــريطكم كـــان الـســلاحُ
عـلى الأخـــلاق فى مـــصـــر عـــفـــاءٌ
فـــمـــا لظـلامـــهـــا أبـداً صـــبـــاحُ
إذا لـم تـصـلـح الحكّـام فـــيـــنـا
فـــمـــا يرجى لـنـا أبداً صـــلاحُ ! .....

ساعة فى الأوقاف ...

((زار الديب وزارة الأوقاف عام ١٩٤٠ فكتب هذه القصيدة يصف ما رآه من مناظر وغرائب))

رفاتٌ عششتْ فيه الطّيورُ
بها ولغ الموظف والكبيرُ
فتات موائد وغثاء مال
وأكلاء بها بَقرٌ يخورّ
هبطتُ بها لأضحك بعض يومى
فأبكانى المبشّر والنّذير
رأيتُ شبابها أقوى وهدّتْ
فتوته الأصائلُ والبكور
ومشيخة يدّب الموت فيها
من الأوقاف ضمّتها قصور
فكم من مكتب قبعتْ عليه
من الأشياخ عميانٌ وعُور
فهذا ظهزه قوسٌ ينادى
أصمّ ، وصوته أبدا جهير
وثانٍ لا يُردّ له قرارٌ
وفى أثوابه رجلٌ طرير

إلى الإنجليز...

سجنتمْ بلاد النّيل لم نلْقَ مُنجداً
يقيها من البأساء واليوم تطلقُ
ونحن بنى فرعون للحرب أمّةٌ
إذا ما دعا داعٍ إليها تصفّق
إذا دُولٌ طارتْ إليها سريعةً
فأضعفنا منها أشدُّ وأسْبَقُ
ونحن محيطٌ والخلائق فُلكه
فمن ضلّ منها شاطئْ الحقّ يغرقُ
جنود من الفولاذ أقوى صلابةً
إذا أطبقوا بالخصم فالموت مطبقُ
لئن خلتمو عمق السياسة نافعا
فإنّ قوى الإيمان بالحرب أعمقُ
وإن نلتمو بالكتب عهدا وموثقا
فإن عهودَ السّيف أوفى وأصدقُ
دعوا السّلم أنتم قاتلوه وإنّما
ضعفتم فقلتمْ نحن للسلم نعشقُ

إلى قوات الاحتلال الإنجليزى

كما شئتم فما نخشى انتقاما
خلقنا للأسى صُبُراً كراما
نفَى عنّا المخاوف أنّ فينا
عزائم تصرع الموت الزؤاما
ولو مات امرؤ منّا شهيدا
لصارعكم رفاتا أو عظاما
وما نرجو نعيمكمو سلاما
وما نخشى جحيمكمو خصاما
وأيقاظاً تراهم فى كفاح
وتلقى غيرهم أبداً نياماً
أناسٌ هم ملائكة وجنٌ
بنوا فوق السِّماك لهم مقاما
قبيلٌ أحمر الوثبات قاس
على الظُّلاَّم يصرعهم ظلاماً
إذا لم تحس كأسهمو نفوسٌ
سقوها بعد ذلّتها الحماما
وكم مستهتر آوى إليهم
فما زالوا به حتّى استقاما

(*) كتب الشاعر هذه القصيدة التى تفيض ثورة وسخطا عام ١٩٣٨ .

نُقلّم ضـــــابطا منّا كـــــيـــــادا
وكـل بلادنا كـــرمت مـــقـــامـــا
فــإن حُـبس الغــضنفــر فى مــحــيل
يجـــيع الناس لم يعـــدم طعـــامـــاً
نقـلتمْ .. أو فـــصلتمْ .. أو قـــتلتمْ
فـــمـــا نرجـــو العـــدالة فى القـــدامى
إذا حـــاق اضـطهـــادكمُ أنفْـنا
ولـم نـســـألكمـــو أبدا إلامـَــا ؟ ..
يمّر بنا العـــذاب ليـــوم نصـــر
تبـلغـنا به الـدنيـــا المرامـــا
تَنافَـــسْنا ثبـــاتاً واحـــتـــمـــالاً
فـــأدركنا المنى عـــامـــا فـــعـــامـــا
وهـــا هـــو يـــومـــنـــا وافـــى وولّـــتْ
عـــهـــود الظـلم وانقـــشـــعت غـــمـــامـــا

قتلتم الناس جوعا ...

يا خــائفى الحــرب ، مــاذا تحــذرون بهــا
وأنــتمُ دونِ هــول الحــــرب أمـــــواتُ
قــتلتمُ النّاس جــوعــاً من تــهــالككُم
على الثّــراء ، فــلاعــشــتمْ ولا مــاتــوا
أنتمْ عــبِــيــد الـغنى والحــرب كــافلةٌ
أن يْعــمُــر الأرض قــوّامــون ســاداتُ
كم ذا أكلتمْ على حــرمــاننا ذهــبــاً
والــيــوم تُغْــوزكمْ فى الحــرب أقــواتُ
لــولا الأشــحّــة فى الــدّنيــا لما رويتْ
بهــا الظُّبى وغــدا للســيف إصــلاتُ
قــالــوا ســلامٌ فــقــلنا ضلّ رأيكمُ
الأرض فــيــهــا ثعــابينٌ وحــيّــات
أعــاد طوفــان نوح طهــرها غــرقــا
والــيــوم طوفــانهــا نارٌ وغــاراتُ
إن كــان للبــعث أشــراطٌ مــقــدّرةٌ
فــمــالهــا فى هدوء السّلم مــيــقــاتُ
هى القــيــامــة من يحــيــا بصــرعــتــهــا
تمت بــه الأرض ســكّــانٌ وأبــيــــاتُ

الجهاد ...

اليـــوم يقـــوى فى الحـــيـــاة أســـاسى
ويـطـيـب مـن فـــيـض المـدامـع كـــاسى
لا أرغـب الـدنـيـــا ولا أخـــشى الـردَّى
وتـعـــيـش يـا وطـنـى الـعـــزيـز ونـاسى
والموت حــتـم فـلأمت مــسـتـشــهـدا
وأقـــابـل الإعـــدام .. بـالإيـنـاسِ
مـــاذا وراء الـعـــمـــر إذ أحـــيـــا بـهِ
همـــلاً بـغـــيـــر قـــضـــيّـــة وقـــيـــاس
أمـلـى وراء الـشــــمـس إن وهـنـتْ بـه
نفـــسى فـــمـــا فى مـــيـــتـــتى مـن باسِ
ردوا عـلىّ قـــصـــائـدى ومـــواهـبـى
إن لـم يزلـزلْ أرضَ مـــصـــر حـــمـــاسى
إن لـم أكن فـــوق «المهـلـهـل» عـــزمـــة[*]
وثـابـةً تـقـــضى عـلى «جـــســـاس»
فـى هـدأة الـبـــركـــان خَـــوفُ زلازل ..
كـــالـبـــعـث تـوقـظ ســـاكـن الأرمـــاس

(*) إشارة إلى حكاية المهلهل وجساس من الأقاصيص الشعبية .

فضائح التموين ...

فـى غــــــــابـة الـوحــش ثـارتْ
عـــــــواصفٌ مـن جــــــهنّمْ
الأرضِ منهـــا اســـتـجـــارتْ
والصّـــــخـــر منهـــا تكـلّمْ
ومــــاشـــدا الطيـــر فــيـــهــا
إلا الـــنّعــــــيــب المـنُغّـم
قـــال الـوحــــــوش «الـذئـب»
مُـــــرِّ الـعــــواء : تـقـــدَّمْ
فــــالحـــاكم اليـــوم ليْثٌ
وصـــــــاحب الـلّـيـث «مـكرمْ»
كم قـــبْل حكمكَ شــــمْـنا
فــــيك المســـيح بَـن مـــريم
يـا مُـســـتـغــاث جـيــاعٍ
أكلتَ شــعـــبك فـــارحم

إلى الحرب ...

هاتى السّلاح فإنّ الحرب بالباب
وحطّمي كل أقداحى وأكوابى
ردّى علىّ من الأشعار ما فرغت
من الظبى والوغى والظّفر والنّاب

* * *

يا حاكمين بمصر يوم محنتها
ماذا ادّخرتم لها فى حظّها الكابى ؟
كنانة الله لكن لا سهام بها
ياويلها من أذى أهل وأحباب
لو ادّخرتم كراماً بعض مالكمو
لقوّة الجيش أمسى جدّ غلاّب
أئن دعا الحرب كنتمْ كالنعام به
وهمّكم فى جَنَى غنْم وأسلاب ؟
وفى السّلام رؤوس تحكمون بنا
وفى الحروب نراكم محْضّ أذناب
قد ختنتمو الشعب فى أيام حكمكمُ
فلا يرى الخصم منه أىّ إرهاب
كم شدتم معهداً للعلم بل هرماً

هلاَّ بنيـــتم لحـــربٍ شـــبـــه «كُـــتّـــاب» ؟ ..

* * *

دقت طبـــول الـوغى والجند قـــد شـــخـــصتْ
إلـى المنـايـا أسـودا غـــيـــر هُيّـــابِ
والجـــوّ سُـــدّ بســـحْب من مـــثـــارهـم
فـي منظـر من لبـــاس الحَـــرب خـــلاّب
كلٌّ تـعـــاوده الذكـــرى فـــيـــصـرعـــهـــا
ولـيس فـى نـــصـــره يـومـــا بمـرتـاب
وفـى الملاحـم قـــدّرْ كلّ مـــفـــزعـــة
فـــمـــا يفـــيـــدك تهـــويلى وإطنابى ؟ٍ
ونـحـــن لاهـون فـــى حـــــفْل وفـــى طَـرب
وفى مـــفـــاخـــر أحـــســـاب وألـقـــابّ
نـحن الـضّـــحـــايا لـرجـــعـــيـيْن مـــالهـم
فـى عـــــزّة الـعـــــيـش من حـظٍّ وآدابِ
تـذبـذبـوا فـى الأمـــــانـى مـــــانرى بـهـم
مـــهـــمـــا ادّعْـــوا واســتطالـوا غـيــر كـــذّاب

فلسطين الدماء ...

أقــــتلتــــــهم بالحـــــسن أم قـــــتلوك ؟
الشّــــــــمس أمّك والهـــــــــلالُ أبـوَك
دار النّبــــــوة والعـــــروبـة والهــــدى
خـــــفـــروا ذمـــامك بالدم المســـفـــوك
جـــهلوا علـيك ومـــادروك فـــأمــــعنوا
فى قـــتل قـــومك .. ليـــتـــهم رحــمــوك

* * *

تيـــــهى «فلسطين الدمـــــاء» على الورى
إن المـــــلائـــك والمـــلـــوك بـــنــوك
فـلربَّ ظبيٍ من بنيك مُـــــهــــفـــهف
بجـــمـــاله وحـــســـامـــه يفـــديك
نامت عـــــيـــــون النّاس إلا عـــــينه
حـــتى يصـــيب الثـــأر من رامـــيـك
ولِربَّ شـــــيخٍ من بنيك مـــــحطّمٍ
بهـــر الوجـــود صِـبـاً .. لكى يحـــميكَ

(*) قيلت أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين عام ١٩٤٠ .

خلّوا الكتابة للمدافع والظبى؟!

حيِّ الربيع غضارة وعبيرا
واخبُ الشّباب توثّباً ونضيرا
واخترْ لدى سكنى البناء جديده
إنّ القديم به غدا مدحورا
والناس والأيّام ليست دولةً
بل تستحيل تداولا وعصورا
كن أنت إسرافيل دون قيامة
واجعل من الهرم المخلَّد صوراً
واهتف بشعبك أن يثور مجاهدا
مازال خطب الغاصبين خطيرا
القيد ضوعف وزنه وإساره
والسّجن أصبح للبلاد سعيرا
لا يزدهيك من القصور رواؤها
فالذلّ صيرها بمصر قبورا
من هؤلاء الغاصبين وصحبهم
جاهد ليُمحَوا أو تموت فخورا
والشّعب مُصْغٍ إن صرخت إلى الوغى
لبّى النداء غضافرا وصقورا
خلّوا الكتابة للمدافع والظّبى

فلقد كتبتمْ باليراع كثيرا
لاتبدعوا سحر المعاول حقبة
معشار إبداع الحروب دهورا

* * *

أنا شاعر منا كنت فيكمْ شاعراً
إن لم أكن أسدا بعصر هصورا
خلّوا المفاخر للرّجولة وحدها
تُحيى الرجولة مبدأ ونصيرا
إنّا لنرقب للكنانة دولةً
ملء البسيطة قوةً وظهورا
يبنى الشباب جلالها وجمالها
ويزود عنها غدوة وبكورا

تعست أماني الحكم !..

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ ساخطا فيها على سوء الحكم والفساد السياسى الذى كان مسيطرا على مصر فى تلك الحقبة))

لا ضـــــاربٌ منكم ولا مــــــضــــــروبُ
أنتمْ جـــمــيـعــا مــعــشــرٌ مــغــلوبُ
وإذا الــعــصــىّ غـــدت ســـلاح حكومـــة
فـــمن الأعـــابد شـــعـــبـــهـــا المنكوبُ
كل الــشــعـــوب ســـلاحـــهـــا من مـــعـــدن
وســـلاح مـــصـــر حـــجـــارة أو طـوب
والــشـــاء إن زكـت الــعـــداوة بـيـنـهـــا
عـــوت الــثّــعـــالـب فـــرحـــة «والذّيـب»
يــا خـــــائــبين تـــذكّـــــروا آلامــكــم
إن الــعـــدوّ من الـبـــــلاد قـــريـب
تـعـــســت أمـــانى الحكم فـــهى مـــذلّةٌ
ومـطـامـعٌ منهـــــا الإله غـــضــــوب
مـــســتـــوزرون ومـــابكـم من صـــالحٍ
لـبــــلاده بـل مــــاكـــــرٌ ومـــريـب
والحكم إن يـقـــصـــد به أخـــلاقـــه
فـــسناؤه فـــجـــر بمصـــر كـــذوب
خـلُّوا الحكومــــة واكـــســـبــوا أرزاقكم

من غـيـرهـا ، ومـن المـآثـم تـوبـوا
أبـكـل يـوم مـعـركٌ وتـظـاهـرٌ
والخـصـم يـرسـل سـهـمـه فـيـصـيـب

* * *

لسـتـم لنـا الأكـفـاء أنـتـم عـصـبـةٌ
مـا فـى جـهـادكُـم لمصـر نـصـيـب
حـتـمـا سـيـأخـذكمْ عـلى أعـناقـكـم
يـومٌ بـأخـذ الـظّـالمـين رهـيـب
يـوم الـشّـبـاب الـطـامـحـين وإنـه
كـغـد لمـن يـرجـو سـنـاه قـريـب

وطنى لوجهك هجرتى ومحبتى ...

اليوم تسمعنا السماء لأنّه
نطقٌ بلا كلم ولا أصوات
هذا أوان دم يراق وفرحةً
تولى الشهيد مضاعف الرّحمات
تتكلّم الأرواح بين مسامعٍ
عقدتْ بأشرف أنفس وذوات ..
الموت عندهمُ حياةٌ بينَما
تلك الحياة مباءة الأموات
لم يُجْدنا عهد الكلام وإن غدا
شدْوا يفيض بساحر النغمات
فتكلّموا نغم النّضال مجلّلاً
بدم الضحايا صادقى العزمات
لاتسمعوا إلاّ صراخ مقاتل
ورنين صمصامٍ وقصف قناةٍ
ومجاهد فى الله يغشاه الرّدى
فيصيحَ ياوطنى إليك حياتى
إن الشّباب إذا المشيب تقاعدوا
هم عدّة الأوطان فى الأزمات

* * *

وطني لوجـهـك هجـرتي ومـحـبّـتي
وإليك كل مـواهبي وهـبـاتي
أفـدي رغـامك بالحـيـاة وبالمنى
حـتى تعـيش مـعـززّ الجنبـات
نحن الفـداء لمصـر تبـقى حـرةً
ونمـوت مـوت أعـزة وأبـاة
اليـوم رنّت في الكنانة صـرخـةٌ
للحق غطّتْ سـابق الصـرخـات
اليـوم إمّـا أن نعـيش أعـزّةً
أو أن نمـوت أعـزّة الأمـوات
هي ضـجـعـةٌ روحي بهـا في جنة
مـاذا يهـمّ إذا فـقـدت حـيـاتي؟!..

مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!

«قالها الشاعر فى غمرة الاتجاه الذى كان ينادى بأن الحرب العالمية الثانية ليس لمصر فيها ناقة ولا جمل»

لا "التشك" خصمى ولا "السّوديت" أعوانى
مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!
جُناتها التشْك والألمان فليقفوا
وجهاً لوجه وأقرانا لأقران
ميدانها واحدٌ والموقودون بها
يبغون أن تتعدى ألف ميدان
أعزز علينا إذا جد النفير لها
أن تقتضى من دمانا أى قربان

* * *

للإنجليز علينا ذمّةٌ عظمت
من أن تداس بتسويف ونسيان
لكنها عهد أكفاء سواسية
لا طاعة العبد فى ذلّ وخذلانّ
قالوا معاهدة قلنا لهم كَذبٌ
وإفك مضطرب فى الشّر خوّان
هذا هو القيد إلاّ أنّه ذهَبٌ
والسّجن بين ربى جنّات عدنان

لو قــدرونا اســتــشــاورونا بما اعـــتـــزمـــوا
فـى الحــــرب والسّلـم عـن حـبٍ ووجــــدان
لـكنـهـم أبرمـــوا دون اســتــشـــارتنا
بيْنـا يرجّـــون منـا كـل إذعـــان
أكلّمـــا ظهــرت فـى الكـون نـائبـــةٌ
يُصــيــبنا من لظاهـا حــرقـة الجــانـى
يـجنـى ســـوانا ونـحـن الـغــارمــون لـه
هـذا هـو الرأى والعـــدل البـــريطانـى

* * *

يا ســاســة «المنش» خلّوهـا مســاومةً
لاقـــهــر ظلـم ولا إذعـــان طغـــيـــان
أليس حـــقّـــاً لـنا أن نقــتــضى ثمنا
عـن حـــربنا جنـد ألمان وطـلـيـــان
لـن ندخل الحـــرب إلا بعـــد عـــهـــدكـم
أن تـرحلـوا الدهـر عن مـــصـــر وســـودان ...

الحرب الحرب

((قيلت ونذر الحرب العالمية الثانية تلوح فى الأفق))

أيّهـــا السّـــامـــرون فى الليل عـــودوا

شـــبت الحـــرب واســـتـــعـــد الجنودُ

أيّهـــا اللاعـــبـــون يكفى ، ســـراعـــا

لـلـوغى فـــــوقـكـم تـرفُّ الـبـنـودُ

يا شـــبـــاباً تضـــوّع الكون عطرا

من شـــذاه لأنتَ بـعْـــدُ الشـــهـــيـــدُ

ذاك عـــرس التـــراب كم زُفّ فـــيـــه

من أناس عـــيـــونهمْ والقـــدودُ

فى غـــدٍ ينتـــهى الوجـــود ويخـــفى

ويرى البـــعـــث دونه والوعـــيـــدُ

* * *

أيّهـــا العـــاطشـــون للدم يجـــرى

دونكم فـــانهلـــوا وروّوا وزيدوا

ياعـــداة السّـــلام كم من أذاكم

أخـــفـــرت ذمّـــةٌ وديست عـــهـــود

كل من مـــات أنتمُ قـــاتلوه

أنتمُ النّـار فى الوغى والحـــديدُ

كل من فى الوجـــود هب من النوم

أخـــاً خـــائفـــاً وأنتم رقـــودُ
ذلـك الحـــــزن والمـآتم تـتـــــري
كم لـكـم دونـهـــا هـنـاءٌ وعـــيــــدُ

* * *

أيهـــا الحـــاكـــمـــون فى النّاس مــهـــلا
أنتم ســـادةٌ ونحن العـــبـــيـــد
إنّمـا الحـــرب لـلشّـــعـــوب صـــراطٌ
فـــفناء مـــصـــيـــرها أو خـلـودُ ..

إلى الجهاد ...

إلى الجهـــاد واملئـــوا الدّنيـــا دمـــا
لا تتـــركـــوا أرضـــا بهـــا ولاســـمـــا
لا عـــاش من يحـــيـــا ذليـــلا مـــرغـــمـــا
وفـــيـــكم الفـــداء يا أســـدَ الحـــمى

* * *

إلى السّـــجـــون أو نرى اســـتـــقـــلالا
فـــالسّـــجن للأحـــرار جنّات النّعـــيـــمْ
ونفـــذوا إن شـــئـــتـــمـــو إعـــدامنا
فـــعـــيش الاســـتـــعـــبـــاد فى نار الجـــحـــيـــمْ

* * *

خلوا الهـــدوء والهناءَ للضّـــعـــافْ
ولا تنـــامـــــوا إنّ فى المـــوت منـــامْ
براءة الأوطـــان من غـــــرٍّ يخـــــاف
إلى الحـــروبَ ... لا تحنّوا للســـلام

* * *

مـــا الخلد إلا للضـــحـــايا فى النضـــالْ
بنـــاهُ رى من نفـــــوس ودمـــــاء
يا للشّـــبـــاب للصـــراع والقـــتـــالْ
فـــصـــرخـــة الأوطان تدعـــو للفـــداء

* * *

إلى الجـــهــــاد واســـتـــردوا مـــا اندثرْ
من مُلْك فـــرعـــون العظيم القـــاهر
ولتـجـمـعـوا الشـمس لمصـرِ والقـمـرْ
في ليل مـــقـــدامٍ وصـــبحٍ ظـافـــر

* * *

للدّهر طعـنات وأنـتمْ كـــفـــؤها
فـعـرّضوا لوقـعـهـا حـرّ الصـدور
وردّدوا إنّا لـهـــا ... إنّـا لـهـــا
ولـتـحْيَ مــصــر حــرة طـول الدّهور

الخونة ...

« تأثر الشاعر للصورة الذليلة التى كان يرتضيها بعض الجواسيس لأنفسهم فى سبيل رفاهية عيشهم إبان الاحتلال الانجليزى وراعه أن هذه الطائفة لا تتورع عن إهدار دماء الوطنيين وإزهاق أرواحهم فسجل هذه الخواطر الثائرة فى الأبيات التالية:»

بين اللآلئ أحـــجـــار لـهـــا شـــانُ
كـــأنمّا هى يـاقـــوتٌ ومَـــرجـــانُ
وبــين نجـم الــرّوابــى نــاضـــــــرٌ ألــقٌ
لـكـنّـه حـــسـكٌ راو وســـعـــدان
كـــدأبك الــدّهـر مـن قـــوم أبالســـة
مـــافــيــهم لمجـــالى الخـــيــر إنســـان
صلّـوا وصـــامـــوا وهـمْ فـــسّـــاق أمـــتّـــهمْ
وكـلّـهـمْ ســـاقـط الآمـــال خـــوّان
كـم أهـدروا من دم حـــرٍ وكـم ســـجـنـوا
وكـم أذلّ بـــهـم قـــــومٌ وأوطـــان
ثعـــالـبٌ وذئابٌ فـى حـــقـــيـــقـــتـــهمْ
وفـى تـنـكـرهـمْ شـــاءٌ وحـــمـــلان
حـــربٌ عـلى الشّـــعب فـى أيّـام مـــحـنـتـــه
وهـم لأعـــــدائه جـنـدٌ وأعـــــوان
يـندسّ واحـــدهمْ فـى أىّ مـــجـــتـــمـعٍ
كـــأنّـه بـيـنـه لـلـذلّ عـنـوانُ

تملقٌ ورياءٌ في مُصانعَة
يلين في كل لمس وهو ثعبانَ
الخائنون أذلّ العيشِ أنفسهمْ
لا كان عيشهمُ فينا ولا كانوا

أنا الشعب ...

عـــــرفت الـيـــــوم أنَّـا قـــــادرونا
وأنّـا الـصــــابرون الـصـــادقـــونا
فـــأين كـــتـــائب الأحـــزاب منّـا
وأين الحـــاقـــدون المرجـــفـــونا ؟
يـقــــــومّ واحــــــدٌ مـنّـا بـألــف
فــقـــد ملك الإرادة والـيـــقـــيناً
ومن يُطع الإله حـــســبـــاه نـصـــراً
وأعـلـى كـــعـــبـــه دنـيــا ودينا
صـبـــغنا الـدّهر مـــصـــريّاً فـــصنًّا
من الأحـــداث مـــجـــد الأقـــدمـــينا
وإن شـــئنا الـزّمـــان غـــدا ســلامـــاً
وإن شـــئنا غـــدا حـــرباً زؤامـــا
ســـتـــبلغ مـــصـــر فى الدنيـــا مناها
مـــتى كـنّا بمـصـــر الحـــاكـــمـــينا
هـنالـك تســـبق الدّنيـــا جـــمـــيـــعـــا
جـــيـــوش لـن تـذلَّ ولـن تـهـــونا
وتـغـــــزو أو تـرى آبـاء صـــــدق
بما رجـــعـــتــه قـــد قـــرّوا عـــيـــوناً
ولــم نـخـش المـقـــاصل فـى مـناهـا
ولـم نـخـش المعـــاقل والسّـــجـــونا

إلى السادة الوزراء !..

سمعتُم رعوداً ألم تسمعوا ؟
رأيتُم بروُقاً ألم تجزعوا ؟
أما تستحون لهذا المجون
.. أليس من الشّيب ما يردعُ؟
أما تستحون لهذا الخراب
وقد هلك الطفل والمرضع ؟
فتشتتُ السّياسة والسائسين
فما الكمو بينهمْ موضعُ !
فهذا هو الهول يوم الوعيد
وكلكُم راح يستمتعُ !
أفى ساحة الكون بين الدماء
يقام المصيف أو المربعُ ؟
أفى مأتم قام عرس لمصر
تقرّ به العين والمسمع ؟
رئيس الوزارة فوق السفين
يغنى بليلاه أو يسمع
تكال له المتع الوافيات
وللوطن الموت والمصرعُ ..

* * *

دعـــــوا الحكم لســـــتمْ كـــــفـــــاءً لـه
ومـــــــا فـى هــداكـم لـنا مـطـمـع ؟
لـكُمْ أوجـــــــــه كلّـهــــــــا أعـينٌ
ورجـــــــلان لـلـسّـــــــــعى لا أربـعُ
وأيـاّمكـمْ قـــســـمَـــةٌ للحـــيــــاة
بـهـــــا مـــــايســــرّ ومــــا يفــــجعُ
ســــــــقــــــوط الـوزيـر إذا لـم يـكـنٍ
إلـيــــــه لأوطـانـه مـــــفـــــــزع
ومـــن ذا الــــوزيـــر وتـــاج الــــوزيـــر
ولـيـــــــا يضــــــرّ ولايـنـفـعُ ؟
هبـــــوا أنـكـم أعـــــدل الـكـائـنـات
فـمـــا عـــدل مـــســتــضـعـف يصـــفعُ ؟!..

حكومة الزنج

برامكةٌ وليس لهم رشيدُ
وأقيالٌ وكلُّهم عبيدُ
مدحتهمُ فما شرفوا بشعرى
لخسّتهمْ، وما شرف القصيد
وصغتُ هجاءهم فإذا الأهاجي
على الأفواه لحنٌ أو نشيد
لقد حكموا وما كانوا عدولا
فعادوا كلَّ ذى شرف وعُودوا
فما لسوالف منهمْ قديم
وما لخوالف منهَمْ جديد
وأسفل صاعد للمجد قومٌ
على حُرماتهمْ كَان الصعود
لكيما يحكموا ركعوا هواناً
وطاب لهم من الذّلّ السّجود
فيابئس الحكومة والمعالى
إذا ارتفعت إلى الحكم العبيد

* * *

(*) نقد لاذع لنظام الحكم فى مصر، ولسياسة الملك فاروق حينما ركز سلطة القصر ورياسة الوزارة فى يد شقيقين تقاسما حكم مصر.

أينعم من وفير المال قومٌ
لأجل ثرائهمْ ذابت كبود
ولون سيادة الدّنيا إباءٌ
فإن يُفقدْ فتربتها الخدود
وتعساً للعرين فمذ تعالت
به الجرذان جافته الأسود
فشلْنا والمواهب من أُناس
غباؤهُم له حظ رشيد
فأيقاظا دلفْنا فى دجاهمْ
وقضّوا صبحنا وهُم رقود

* * *

لقد رجّعتُ آهاتى طوالاً
ورجّعها معى الجّم العديد
وما ندرى ، وما يدرون يوما
لعمر الدهر ، مَنْ منا السّعيد

غضبة فرعون ...

« كتبها الديب عام ١٩٤٠ في أثناء الحرب العالمية الثانية ثائرا على الانجليز لتحكمهم فى شئون مصر الداخلية» .

مـــاذا اســتـــخـّـفك حــتى جُــستَ آجــامى
لا راهبــاً غــضــبــتى أو خــائفــاً جــامى
رزُء السّــمــاحـــة أن تُـعطى لجــاحــدها
وأن يـجــود حـــيــاهــا ربَّعَ إجــرام
حطـمــتُــه صــولجــاناً ليـس يعــصــمنى
لؤم الـضــعـــاف طغــوا مــن فــيض إكــرام
أشــبــعــتُــهـم فــأجــاعــوا من خــلائـقــهم
مـــالا يُـهـــذّب فى جـــوع وإطــعـــام
قل لـلخـــفـــافـــيش إن الشّـــمس طـالعـــةٌ
وســـاحـــة النّور لـم تُـخـلـق لـهـّـوام
مـــا لـلثــعـــالــب ضلّت من مـطاردهـا
جــحـورها ، واســتـبــاحت غـيل ضـرغــام
أمـــام ذئب فــلاة قــد جــرت فــزعــاً
وفـى حـــمـى الـليـّث تبـــدى بأس هجــام
تلك الثــعـــالــب يســتـــعلى بهـــا مــلأٌ
هم عـــصــبـــة الجُـبن فى شـــعـــبى وأقـــوامى
أأمّـــة عـــجــزت عن صــون بـيـضــتــهـــا

ومالها عصمةٌ من جرحها الدّامي
تُعلي وتخفض من حكّام مملكتي
كلاًّ ، فليس رضاع الذلّ حكامي
لا تحسبوا أن فوق التّاج مُلككمو
ألبأس بأسيَ ، والصّمصام صمصامي
بنيت مجديَ من عز ومن شرف
على أساسينْ ، إيماني وَإقدامي

* * *

هِي القيامة إن مسّت مطامعكم
عُلا سريرى ورمتمْ فيه إرغامي
لي من معونة ربِّي جند مقتدر
وفوق أعلامكمْ أضغاث أحلامٌ
ذلّ الإسار عليكم قيده ذُبحتْ
به مهابتكم ، ياشعب أغنام
يا كاذبين على الدنيا بحربكمو
ونصركم بينها تزويرُ أرقام
لو شئت ، أوشاء شعبي كنتمُ أُكلا
لحوت نيلى ، وأحجارا لأهرامي

وصف معركة بحرية ...

سَرتْ بين مَرهُوبيْن ليلٍ مُنافقٍ
وبحر مدى الدنيا خفيّ الطرائقَ
كتائب فُلك جُنِّدتْ لكريهة
وحرب بها تبيّض سود المفارقَ
إذا مارست كانت جبال مرادة
وإن أقلَعتْ كانت قلاع تسابق
ويعصمها من بغتة الخطب فتيةٌ
رِضَاعُ الوغى لم يعبأوا أيّ طارق
مُرهَّفَةٌ أرواحهم وجسومهمْ
مُضَمخَةٌ أثوابهمْ بالمعابق
وهم بين دنيا البحر أشباه موجه
كُماةُ نضالٍ دائمٍ متلاحق
وهم في مُفاداة السفين وصونه
عطاشى إلى موتٍ لدي الحرب شائق

* * *

تصدَّتْ لهذا الفُلك رقطاءُ خبّأتْ
تجاعيدها من كَيد رام وراشق
فألقت عليه مسعراً من جحيمها
أنابيل نارٍ بين مُردٍ وماحق

وزَكَت نســـور الجـــو ، قـــامت بغـــارة
رمـــايتـهـــا الشـعـــواء تحـصـد مـابـقىَ
فـــأصْلَتْ ، وأصـــلاها السّـفين جـهنّمـــاً
لظاهـا قـــضـــاءٌ لم يجـــد أى عـــائق
بـوارج تُـفـنـى الطـائـرات بـحـــــالـق
وأخـــرى تـقـــد الغـــائـصـــات بسـاحـقٍ
ودوَّتْ بـأرجـــاء الجـــحـيم صـــواعـقٌ
لـهـــا أنصـت الجـــبـــارُ إنصـــات حـــانق
تحـــدٍّ لماء الـبـــحـــر صـــخـــرية اللظـى
به مُـــهـــدرٌ فى العـــقـل فـــهـم الحـــقـــائق
قـــد اجـــتـــمع الضـــدّان فلتـــســـقُط النُّهى
فـــقـــد تـهلك الدّنـيـــا بيـــعض الخـــوارق
ورجـــعـت الأرواح صـــيـــحـــات هالـعٍ
من الموت مـــذهـول ، وصـــرخـــات غـــارقٍ
وبـارجـــة قـــاست بمحنة حـــينهـــا
مـــقـــاســـاة تـوّاق لدنـيـــاه عـــاشـق
تغُـــوص وتطـفُـــو كـــالـسّـــراج إذا خـــبـــا
وهـلّ بـأرمـــــاق الـذبـيـح المـفـــارق
وكـم دارعـــات هـدهَـد الموت عـــابثـــا
بقَـــيّـــاتِ ألـواحٍ لـهـــاَ ونمـارِق

* * *

بدا الصبح ليلاً بالمحيط وقد علا
إلى النّجم وهاجَ اللظى والحرائق
ولم يقض غير «القُبّطان» وقد نجا
من الموت ملاّحون فوق الزّوارق
كذلك أبطال البحار وفاؤهْم
لفلكهمو كالسَّلسل المتدافق
تبدَّى على ظهر السفينة واقفا
مُحاطاً بأعلام لها وبيارق
وهامته فوق المواكب رِفعةً
ومن وجهه الوضّاح فيض مُشارق
فغاص وإيّاها قريراً كأنّما
هما توأمان فى رفُاتِ مُلاصق

* * *

وما مر هذا الليل إلا على دمٍ
سُلاف لحى الحوت حناءُ نافق
قد احترّقت فيه النّجومُ فمابدا
بها من دخان أو لظى أى بارق
ولم يبق فى التّيارَ إلاّ ثمالةٌ
بقايا سفين أو بقايا خلائق
إذا لم تكن حرب البَحار قيامةً
فأشْراطُها منها عقيدة واثق

بين تحتمس وفاروق

دخل الشاعر إلى غرفة زعيم حزب مصر الفتاة يبثه شكواه فوجد تمثال تحتمس الثالث موضوعا أمامه وفوق رأسه صورة الملك فاروق وأمامه صورة زيتية حول الفلاحين الذين كرس لهم حياته وجهوده فأهاجه هذا المنظر فقال :

تذكـرت الفداء فـعفت نفـسي ... وعاودني الهوى فذكرت بأسي
وفـاضت بي هموم مـترعـات ... فـلا حـزن يفـيـد ولا تأسي
قـتلت أبا الخليقـة؟ أي وربي! ... فعـاداني الورى من كل جنس
وقـالوا سـادرٌ ورضـيع كـأس ... ومـا قـالـوا سـوى إفك ودس
وفلســفــة ركنت إلى هداها ... فكان بعطفـها قـيدي وحبـسي
أقـمتم مـأتمي في بكر عمـري ... فهـلا قد أقـمتم يوم عـرسي؟
دخلت إلى الرئيس أبث حزني ... وأطلعــه علـى آلام نفـــسي
دخلت بمعـقل يحـوي ملوكـا ... تماثيل ازدهت فـي شـبـه حس
تحـتمس فـي شبـاب عـبقـري ... تنزه جـســمـه عن كل رجس
أمـام عـيـون أحـمـد يجـتليـه ... ويسمع مـنه ما يفضي بـهمس
وينفث في زعـيم الجيل روحـا ... إلى الغزوات يصبحها ويمسي
تذكـرت العـزيز بيـوم حـرب ... تقـاد له الملوك بعين شـمس
ومصـر بعهـده ملكت شعـوبا ... فـأين اليـوم من ملكوت أمس
هنا أبـصــرت إيمانا وحــسنا ... ورونق جنة وضـيـاء شـمس
لفــاروق وأي مليـك شــعـب ... تغلـغل حـبــه فـي كـل نفس

(*) يقصد بالرئيس أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، ونشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٩

على رأس الرئيس بدا بسيما وصـــورتـه تشـع بكـل أنس
ودون الصـوجان رأيـت قومـا لهم سـيمـاء من سكنوا برمس
ينـادون الرئيـس نداء شـــاك بمنجـلـه يـدلل أو بـفــأس
وها هم قـد رأوه لهـم ظهـيرا عن الفـلاح يشرب كل كـأس
سـقى أعطافـهـم أمل نضـيـر فما شـعروا على الجلى بيأس!

حطم السجن

أقدم فقد يئس المسجون واضطربا ... وحطم السجن لاتعدل به رهبا
رو الكنانة ، إمـا بالندى غدقـا ... أو من دماء الضحايا روها حربا
جعنا وذقنا الأسى من حكم مشيخة ... بكلدنا يـأكلون الخـز والذهـبـا
وإن شكونا يزيدوا عيشنا حرقا ... كالنار إن تخب زادوا فوقها حطبا
واليوم جئت فكفكف دمعنا كرما ... وحطم الشيب لا لوما ولاعـتبا
أتى زمانك فلتملك على شغف ... أزمّة الشعب عهد الشيب قد ذهبا
قـد الجنود إلى الميدان مـغتـبطا ... وكن على مصر فى بأسـائها حدبا
وهبت روحك للأوطان تنصرها ... فأنت أكرم من زكى ومن وهبا
يا ابن الحسين هى الدنيا ففز بطلا ... فيها ولاتك مهما أرهقت سلبا
والبس لها كل يوم درع غالبها ... مقـذفا لا مـسوحا يؤثـر الهربا
مصر الفتاة وقد أعليت حجتها ... بنيتها من قوى لاتعرف النصبا
خذ الحكومة إن قسرا وإن قدرا ... فالحكم يعشق من قاسى ومن غلبا

(*) موجهة إلى أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة فى الفترة التى كان فيها الديب شاعر الحزب (١٩٣٨)

القوة حياة الشعوب

أهم كــــامن الــدنيـــا إذا كنت تـضــــرب
هــو اليــــأس لايخـــبـــو ولا يـتـــذبـذب
وكـن أنت طلق النار إن خـــاب مــــقـــتــــلا
تـنـل من هـنـاء العـــيـــش مــــا تـتـطـلـب
رأينـا الشـــعـــوب الغـــالبـــات وقـــد غـــدت
على الخـــصم فـى الهــــيـــجـــاء نـارا تلهب
وكم مـن كـــمى فـى مــــضـــارب ســـيـــفــــه
منايـا لـهــــا الأعـــــداء فى الحــــرب تـلـهـب
لقـــد دارت الأفـــلاك يـامـــصـــر فـــانـهـــضى
إلـى مـــــــوقـف دام بـه الـنـصـــــــر يـكـتـب
ثـقى بـالشـــبـــابِ الصـــابريـن فـــإنـهـم
غـــيـــاثك إن شــامـــوا الـدنيــئــة يغــضــبــوا
بـهم كـل مـــــرهـوب العـــــراك مُـــــقـــــذّف
وفـــى بـــــرده لــــيـــــث إذا ريــــع أغــــلــــب
وفـــيـــهـم نـســـور فى انقـــضــــاضـهـم الردى
لـــهـم كـل يـوم طـيــــــــــــرة وتــوثــب
كـــذلك يـامـــصـــر الحـــيـــاة شـــجـــاعـــة
فـللبـــــأس فى الأقـــــوام ديـن ومـــــذهـب

القسم الثاني : النثر
اعترافات الديب

لقد سجل عبد الحميد الديب مشاعره وعواطفه وأحلامه فى قصائده الشعرية التى تنبض بالحرارة والصدق والعاطفة ، وكان شعره سلسلة من الاعترافات ولكن الكثير من الأدباء يعتقد أن الديب لم يمارس كتابة النثر .. والحقيقة أن شاعر البؤس لم يكتب نثرا إلا فى فترات متقطعة في سنواته الأخيرة. وقد عثرت على بعض كتاباته النثرية التى كتبها ما بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٤١ بعنوان (خواطرى) وقد رسم الديب فى تلك الخواطر صورا طريفة لحياته سجل فيها مشاعره وأفكاره وتأملاته وأحلامه وذكرياته بصورة تفصح عن ذاته وتعكس مدى ما كان يعانيه من بؤس وألم وغبن. ولقد استمد شاعر البؤس تلك الخواطر من حياته الخاصة وتأملاته فى الأدب والحياة بلا مواربة ولانفاق ، بل حرر أسلوبه من كل القيود والأغلال مما أضفى على تلك الخواطر الصدق والعاطفة النابضة بالحرارة .

وإذا رجعنا إلى تعريف الكاتب الفرنسي بأن «الأسلوب هو الرجل نفسه» نجد أن أسلوب الديب بما يتسم به من إشراق البيان والرقة والوضوح والصدق والحرارة والشاعرية والعذوبة يعد انعكاسا صادقا لطبيعته الشاعرية ونفسه الحساسة المرهفة . وبعد فهذه هى خواطر الديب التى تعكس صورا حزينة قاتمة لحياته البائسة المكدودة وألوانا من الغبن والافتئات لاقاها هذا العبقرى الموهوب البائس ، حتى صور لنا بعض اعترافاته التى استمدها من واقع حياته ، وصور بها لمحات من ليالى الصعلكة والتشرد !

لقب شاعر البؤس

أجمع المتحدثون عن الشعر والشعراء على أن يمنحونى لقب شاعر البؤس، وأن يتوجعوا لآهاتى وزفراتى فى شكواى الزمن وتبرمى بالناس .

وأؤكد لهؤلاء جميعا أن البؤس هو الصلة الروحية بين الأرض والسماء هو صلة قلب الشاعر بربه وكفى !

وليس من شك فى أن البائس فى الدنيا هو مرشد الوسط الذى يعيش فيه وهاديه ، وأخيراً هو الضحية والقربان للأحقاد والمفتريات !

والظاهرة البارزة فى حياة البائس هى الفقر إلى حد الفاقة وكم تمر ليالى الشتاء المهلكة عليه دون أن يجد ملجأ أو (كُنّاً) يتوارى فيه وتعصمه كبرياؤه أن يطرق أبواب

معارفه لينام أو يلتمس الدفء. وقد يطوى الليل والنهار جوعان حيران ، وكلما طرق بابا للكسب من طريق العمل والجهاد يرى دون هذا الباب ألف كلب مسعور تحول دون نيله أمنيته فيعود وقد ملئت نفسه حقداً على المجتمع ، وحسدا لأرباب النعم ، ويرى من الفضائل أن يعلن حقده وحسده وأن يسجله في قصيدة أو قصائد. والذى لا أدريه ولا يدريه الفلاسفة هو : لماذا يراد للشاعر هذا الوضع الذليل ؟ .. أوه ، لقد عرفت أخيرا شيئا كنت أجهله ذلك أن كثيرين من عشاق الشاعر الباكى الحزين يجاهرون بوجوب فقر الشاعر الذى نظم هذا الشعر حتى يخرج لهم ألوانا منه كلما طعنته المحنة طعنة قاتلة. ولعمرى إن هؤلاء أجهل الناس بنظم الشعر وتأليف القصيد ، ولو عرفوا لأدركوا أن الفقر يميت الموهبة ويقتل العبقرية وليكن حرمان الشاعر فى أن يعجز عن الاصطياف فى أوربا مثلا ! ..

أما أن يعجز عن الاصطياف فى روض الفرج فهذا هو مبعث الحقد والتبرم بالناس !. وهل يستطيع أن يقول شعرا ولو فى الجوع؟.. إن الغرام وهو أرفع مظاهر النفس البشرية ينتحر أمام العوز والفقر والجوع ، وكيف يتناجى العاشقان وهما جائعان أو عاريان أو مسهدان؟..

ولماذا لايغنى الشاعر فيقول فى ألوان أخرى من القصيد الذهبي المرح؟.. الحق أن الناس يجهلون ، ولو أنهم امتحنوا بيوم من أيام الشاعر فى عيشته الخاصة لآثروا تعجل الموت! ..

يوم من أيام المحنة ...

طلع الصباح فهب الناس من مراقدهم ، ورقدت أنا ، إذ طويت الليل ساريا فى طرقات القاهرة لعجزى عن اللجوء إلى أحد الفنادق فلجأت إلى فندق الله (الجامع الأزهر) فى أول تكبيرة أهل بها ذلك المؤذن الفاتن الصوت على مئذنته التاريخية العجيبة. وماكدت أسلم عينى لهذا النوم المختلس حتى شعرت بيد تهزنى هزا فاستيقظت فزعا ورأيتنى وجها لوجه أمام من يدعونه (مخبر) ورأيت إلى جانبه شتيتا من الناس كلهم ترتسم على وجهه الآلام التى ترتسم على وجهى ، فنظمنى وإياهم فى سلك واحد ، وساقنا جميعا إلى قسم الشرطة .

أوه ! .. أين حذائى ؟ لقد تفقدته فلم أجده فاضطررت أن أسير مع إخوان الشقاء حافيا وتصور (أفندى) كامل البذلة يسير حافيا ؟ .. وإذ كنا فى بكرة اليوم انتظرنا حتى يستيقظ الضابط المنوب ليقوم بالتحرى عنا . وماهى إلا فترة حتى كمل وضح النهار ، وإذ ذاك لمحت حذائى الضائع فى رجل أحد المقبوض عليهم فاقتربت منه وقلت فى همس (حذائى ياصديقى!..) فتجهم لى وجاهر بأنه حذاؤه ، ولم يبال بوعيدى أن أتهمه بالسرقة وكان الضابط قد صحا وسمع الحوار الذى التهب أخيرا بينى وبين هذا اللص المتبجح فلفت نظره إلى تحقيق جريمة السرقة قبل كتابة (محاضر التحرى) فلم يستمع لقولى وظاهر اللص علىّ وقرظ انتعاله إياه ووبخ حفاى فثرت عليه ثورة أنستنى موقفى منه وموقفه منى ، وبعد فترة رأيتنى مجردا من كل ملابسى إلا قميصا غل يدى عن الحركة وجرهما إلى ظهرى . ذلك هو قميص المرسلين إلى المارستان (مستشفى الأمراض العقلية) ضيوفا على سراى (العباسية) أو (الخانكة) .

وهناك فى دارة (عالم الجنون) رأيت العدالة فى ربيع صباها ونضرة شبابها ، رأيت أحكام المجانين من مدير إلى حارس كلهم عادلون منزهون عن الميل والهوى والإجحاف بحقوق روادهم المساكين . ولما عرضت على الطبيب المتخصص فى فحص القوى العقلية أثبت سلامتى وكمال عقلى ، وردنى ردا جميلا .

وقدر لى ، بسبب هذا ، أن أسعد بعمل صحفى مركز ، جل شأن الله! ..

الخمر والشعر ...

ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة . نحن أبناء الأعيان ؟ .. بلى ! .. إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس منى ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون (شاعر البؤس) !! ..

ولا أكذبك أننا جميعا خلقنا لوجه الكأس والشيطان ، أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس !.. لقد استيقظ الساقى وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها ومافينا باخل أو ضنين كل على صديقه . لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية تخيلوا أنها ستكون «أغنية الجيل» وإذ فتشوا لى سريرتهم فى موقفى وأرادونى على القول عييت حتى عن نظم سطر واحد من بيت .

لقد حسبوا الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة . لا.. لا.. هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحى والإلهام . تناوبوا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى إلى سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتا أو أبياتا!.. وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حالة أشبه ماتكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب إلى قبض جنيهاتها الآلاف!.. وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التى غناها الموسيقار رياض السنباطى ومطلعها :

كلما أقبل ليل أو نهار

شاقنى العهد وشاقتنى الديارْ

وشجانى سحره هذا المزار

والليالى الخرد الغيد النضارْ

بعد طول البين هل يُجمع شمل ؟ ..

هـو نـار ، هـو وجـــــد ، هـو قـــــتلْ
ياحـــبـــيـــبى كـــيف أنجـــو كـــيف أسـلو؟

لقد نجحت فى نظم القطعة ، ولكنى نظمتها وأنا صاح غير مخمور !

الحق أن الخمر عدو للشعر ، ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى فى حالة السكر !

أنا وأمير الشعراء :

كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء ، وكان صاحبى فى المحنة شيخا معمما قضت الصدف العجيبة أن يشاركنى فى ليلى ونهارى، كلانا غريب ، وكلانا لا وطن ولا سكن ، وكلانا مهاجر بين أقطار الأسى لايجف له دمع إلا إلى مدمع. وإذ باكرنا هذا اليوم ظللنا نذرع الطرقات حتى مررنا على (صولت) إذ كان ندىّ أمير الشعراء (أحمد شوقى) ومجلى صحبه وحاشيته قلت لصاحبى : إن هنا من لو شكونا اليه لمسح دموعنا ! ... وقال : وى ! .. أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر؟ .. قلت : إنه أمير الشعراء شوقى بكِ !.. وعمدت إلى ورقة من أوراق جيبى الذى لازمته عاما على الأقل فكتبت فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال   وقد تغرب : لا أهل ولا مال؟

وأرسلتها مع صاحبى مكررا توصيته أن يخاطب (الأمير) بالباشا إذ كان يهمنى أن أصل بأميرى إلى القمة من غير شك ، وماكاد شوقى يأتى على البيت حتى وقع تحته توقيعا ذكّرنى بأيام البرامكة وعطفهم على طائفة الشعراء والأدباء.

حادث بينى وبين طالب :

بدأ يوم (الجمعة) المولد الأحمدى مولد السيد البدوى ، ويحرص الآلاف من الريفيين على ارتياد الجامع الأحمدى فى أول يوم من أيام المولد المذكور ، وإن الناس لفى ضراعتهم إلى الله وزيارتهم لضريح (صاحب الفرج) كما يدعونه فى أيام المولد والرجبيات إذ استرعى أسماعهم صوت جهير يردد أبيات قصيدة فهرعوا إلى مبعث الصوت فأنشدتهم :

الحــرب بالأبــواب أين بنــوكِ ؟..   يامصر ناديهم لكى يحموك؟..

يامصر ما الطليان كفؤك فاهجمى   إن لم تكونــــى مُــرّة أكلــوك

والظاهر أن رأيى فى وجوب اقتحام المعمعة لم يصادف هوى فى نفس أحد طلاب المعهد الدينى فجرى هذا الطالب فى ثورة واختطف القرطاس الذى كتبت فيه القصيدة من يدى ومزّقه ، وهنا فارقت المنصة فى غضبة ملتهبة واختطفت غطاء رأس الطالب ومزقت شالها الأبيض الناصع البياض وقلت للطالب :- أنا لم أخسر شيئا لأنى أحفظ القصيدة وأما أنت فقد خسرت لأنك لاتحفظ غطاء رأسك!.. فتدخل الجمهور فى الحادث فرفضت الصلح مع الطالب إلا إذ كتب القصيدة بخط النسخ الجميل ، فأذعن الطالب وكتب القصيدة فانتهت المشكلة بسلام واعتنق الطالب رأيى فصفق الجمهور!..

أنا وزوجتى ...

ها أنذا أحرق البخور بين يدى زوجتى لأرقو عقوقها لى فى مصاحبتى إلى نزهة أو ارتياد إحدى دور السينما ، وكلما مثلت لها مباهج الشارع وزينت فى عينيها مناظر المجتمع وبشعت فى خاطرها وحشة البيت ووحدتها وانفرادها فى السكن زاد عقوقها وازورت عن هذا الأنس الموعود ، ورفضت ثم رفضت عابسة متطيرة من النزهة والسينما وما إليهما؟.. فلماذا هذا التطور فى رغبات السيدة وهى فى العقد الثانى من عمرها ؟ لقد كانت إلى عهد قريب صاحبة الاقتراحات الماكرة فى التنزه والفرجة على دور السينما والتمثيل ، وكنت إذا رفضت اقتراحاتها فى هذا السبيل ترمينى بالرجعية والردة عن الحضارة والتمدين وتضرب الأمثال بالقريبات والجارات اللواتى يتمتعن بحرية فضفاضة خارج البيت.

فما الذى أطفأ فى زوجتى هذه الجذوة المتحرقة إلى التمتع بلذاذات الفسحة ومتع الفرجة؟.. ما الذى خلقها خلقا جديدا وخلقنى خلقا جديدا فى هذا الموقف؟.. أصبحت أنا الراجى والمقترح وهى الأبية الرافضة!.. أوه... لقد علمت كل شئ وإنها لتُديل منى بحق إذا أصررت على وجوب مصاحبتها إياى ، إنها غاضبة على الشرف والكرامة وخشية العفاف على جرح كيانه وهدم عزته[1]

بلى!.. إن هنالك كلابا مسعورة تترقب المرأة فى كل مضطرب من أرض مصر وفى كل طريق وزقاق من العاصمة الكبيرة!.. مواقف يرسلون منها ألسن السفه وألفاظ الكنايات الوقحة والنكات السمجة ولاحيلة للمرأة أو لمن يصاحبها فى إدانة هؤلاء الملاطيع مادام القانون لايعاقب المعتدى إلا إذا كان من أثر اعتدائه أن يرى دم الضحية أو جراح المعتدى بجسمها البرىء؟.. هيهات!.. لقد شكونا غير واحد من هؤلاء فكان نصيبنا من الشكوى إهانة جديدة نسمعها من الضابط ثم يُعرض عنا فيفلت المجرم من بين يديه أقوى مايكون معتدٍ وقح على شتم الناس .

فهل آن أن تتدخل وزارة الشئون الاجتماعية فى هذا الموقف الجوهرى من حياتنا الاجتماعية؟!..

الشعر والنظم :

ها أنذا جالس بمقهى بالحىّ اللاتينى[2] وقد هبت نفحات العصر فى ذلك الحى المملوء بالسحر تحمل بين خطرات النسيم روائح المباخر والمسك وليس يصاحبنى فى

---

(١) الحقيقة أن السبب الرئيسى فى امتناع زوجة الشاعر البائس عن مصاحبته فى التنزه هو ألم زوجته لرثاثة ثياب زوجها وثيابها فضلا عن سخرية بعض الأشقياء بالشاعر البائس وهو يسير مع زوجته

(٢) الحى اللاتينى اصطلاح كان يطلقه عبد الحميد الديب على حى (الحسين) .

جلستي إلا إبريق الشاي وأكوابه . أوه لقد أقبل هذا الشاب الأزهري الثقيل يحمل في يده ورقة ويلوح لي بها كما يلوح لي الدائن بصك مكتوب عليّ فيه بعض الدين . ترى ماذا حملت الورقة من هراء صاحبي وعبقرية جهله؟!.. لقد جلس بعد أن حياني تحيه أكثرها ألفاظ وأوصاف ضخمة لشخصي المنكوب!.. فرددت عليه بما اعتدت من نظرة مقشعرة وامتعاضة أغلقت عيني عن رؤيته ... قال : لقد أصبحت شاعرا ... اسمع يامترا! (يامترا!.. كذا يلقبني شيخنا ساسان!..) قلت في نفسي : سمعت الرعد يا (....) وأظهرت له استعدادي لسماع إلهامه البليد قال :- إن فلانا شتمني ولكمني في صدري ... أي وربي .. فلم أجد بدا من هجائه!.. وتلا عليّ مطلع القصيدة وهو :

بغلٌ يريد الحرب كي يحظى بما صنع الحمار مع الأسود الضاريه

فلم أجد بدا من استئذانه بضع دقائق أعود إليه بعدها . وإذا كان القارظان قد عادا فإني عدت إلى هذا الشاعر (البليغ)!..

ومثل هذا كثيرون ممن أغراهم الجهل بالشعر فنظموا وحطموا وذلوا وهم يظنون أنهم شعراء والعياذ بالله!..

نقد شاعر لشاعر :

إنما يداوي شارب الخمر بالخمر ، ولايفل الحديد إلا الحديد. فإذا انبرى شاعر لنقد قصيدة شاعر آخر فمن الغي أن ينقده بهذه الطريقة الخائبة التي يتعبدها النقاد الشرقيون وهي التصدي للألفاظ وأخذ المعاني والأغراض حتى كأنها خادمة للألفاظ والأسلوب!! ... الشعر ليس ألفاظا ولايمت إلى اللغة المشتركة إلا من حيث أداؤه . وإذن ينبغي أن يكون نقده بطريقة أخرى، فيتحدى الناقد الشاعر بنظم البيت نظما أوفى مما هو عليه من صياغة ومعنى وخيال، قال فلان كذا ، وأنا أقول كذا ، وللناس بعد هذا عقول ومدارك تظهر أفضلية أحدهما على الآخر .

السماجة والجسارة :

قلت لصاحبي وقد طالعني قبل مطلع الشمس في بدلة مهلهلة وطربوش دون وحذاء لاشك أنه توارثه عن أبي القاسم المشهور :

ماذا أقض مضجعك فباكرت مطلعك؟.. إني لأرى في عينيك الحمراوين ووجهك الأصفر الممتقعِ كأنك طويت ليلتك في ترصد أحد النجوم حتى إذا سلم النجم إلى أبراجه عدت إليّ في هذه السحنة وتلك الثياب..!.. قال : بلى .. إنه لحق ... لقد طوقت بطرقات القاهرة من الأصيل إلى هذه الساعة ولقد دفنت في كبدي خلال هذا الليل

الكافر سهاما يكفى أحدها القضاء عليّ لولا أنى وطنت نفسى على احتمال المكاره!...

وكان صاحبى فى نعمة ضافية سابغة الكساء ، كان مدرسا بإحدى مدارس الفرير بمرتب لايحلم به أربعة أو خمسة من مدرسى الإلزامى ففوجئ بالفصل من عمله لا للسبب الذى يفصل به المدرسون أو تهوى به الكواكب أو تثور البراكين؟!

لابل إنه كما أعلم عنه ليس سمجا مداهنا!.. ومع أنه كاتب وشاعر فقد عجز عن نظم مقطوعة من المدح لهذا الأب الفريرى الفرنسى الذى يدير المدرسة!.. ولقد استطاع منافسه البكيء لأمرٍ ما أن يظفر بتجديد عقده عاما آخر بالمدرسة. ذلك بأن الشيطان دربّ نفسه القذرة على الضراعة والتفنن فى الذل والمسكنة ومشى مع المدير فى مراحل غروره يزوده فى كل مرحلة بقوة من النفحات الكاذبة والألقاب المزورة ، ثم يهبط تحت قدميه هبوطا لايرتضيه العم سليمان النوبى بواب المدرسة .

إنما ليست المسألة مسألة العيش والهناءة فى الحياة إلا رهينة هذه الصنعة : صنعة السماجة فمن أتقنها فهو العامل السعيد ومن عى عنها فهو العاطل الشريد!.. ولا أدرى أهذا هو اللون الذى يعنيه الشاعر الأول بقوله :

من راقب الناس مات هما   وفاز باللذة الجسورُ

أم ليس إياه؟!.. فإن كانت الأولى فاللهم إن السماجة من مكارم الأخلاق!..

فى حضرة الخديو

كانت فترة مفردة حلوة تلك الفترة التى باكرت فيها الشباب تلميذاً بمدرسة (دار الدعوة والإرشاد) التى أنشأها التلميذ الأول للمرحوم الأستاذ الامام وهو المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) .

ولقد حال صغر سنى يومئذ دون إلحاقى بالقسم الداخلى حتى إذا زار المدرسة الخديو عباس حلمى قمت فى حركة جنونية وارتجلت فى صوت جهير مسموع :

مولاى إن المسلمين كما ترى   ما بين مظلوم وبين مهان

فابتسم ثم أمر بإلحاقى بالقسم الداخلى ومنحنى ساعة قيمة بقيت معى مدخرة فى جيبى حتى فُرّقَ بينى وبينها ... وكم فرقت الحاجة بين العزيزين المتحابيّن !

المراجـــع

١ - الدوريات :

١ - مـــجلة الصـــبـــاح	(١٩٣٤ - ١٩٤٣)
٢ - مـــــــجـلـة أبـولـلـو	(١٩٣٢ - ١٩٣٤)
٣ - مـــجلة المقـــتطف	(١٩٣٥ - ١٩٤٢)
٤ - مـــجلة الرســـالة	(١٩٤٠ - ١٩٤٣)
٥ - مـــــجلة الـكـشـكـول	(١٩٢٧ - ١٩٣٢)
٦ - مـجلة مـسـامـرات الجـيب	(١٩٤٦ - ١٩٥٠)
٧ - مـــــــجـلـة الاثـنـين	(١٩٣٩ - ١٩٤٥)
٨ - صـــحـــيـــفـــة الوادى	(١٩٣٢ - ١٩٣٤)
٩ - صـــحـــيـــفـــة الأهرام	(١٩٣٩ - ١٩٤٣)
١٠ - صـحـيـفـة مـصـر الفـتـاة	(١٩٣٨ - ١٩٣٩)
١١ - صـــحـــيـفـــة فـتى النيل	(١٩٣٨ - ١٩٤٣)
١٢ - صـــحـــيـــفـــة «البـلاغ»	(١٩٣٥ - ١٩٤٣)

٢ - الكتب :

١ - دراسات أدبية / عمر الدسوقي

٢ - مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب / محمد رضوان - دار الهلال / ١٩٧٦

٣ - فيلسوف الصعاليك / محمد رضوان - مركز الراية / ١٩٩٩

٤ - عصر ورجال / فتحي رضوان / مكتبة الأنجلو / ١٩٦٧

٥ - الشاعر عبد الحميد الديب / د. عبد الرحمن عثمان / دار المعارف / ١٩٦٨

٦ - ذكريات باريس / د. زكي مبارك / المكتبة التجارية ١٩٣٩

٧ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي / د. يوسف خليف / دار المعارف .

٨ - تاريخ الشعر السياسي / د. أحمد الشايب - القاهرة - ١٩٤٥

٩ - العقد الفريد / ابن عبد ربه - القاهرة .

١٠ - ديوان الشنفرى / القاهرة ١٩٣٧

١١ - ديوان عروة بن الورد / بيروت

١٢ - الذين أدركتهم حرفة الأدب / طاهر أبو فاشا / دار المعارف

١٣ - حكايات الشطار والعيارين / د. محمد رجب النجار / الكويت ١٩٨١

١٤ - علم النفس والأدب / د. سامي الدروبي / دار المعارف

١٥ - عبد الحميد الديب / تأليف سيد عبد الحميد الوكيل / رسالة ماجستير

الفهرس

محقق الديوان :

محمد رضوان

– ولد محمد محمود رضوان بالدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م

– حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م

– صحفى بدار الهلال – عضو نقابة الصحفيين – عضو اتحاد كتاب مصر .

– يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية .

– من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت – أنيس منصور – أحمد عبد المجيد – إبراهيم عيسى – عبد العليم القبانى – د. مقداد يالجن – سعد حامد – كمال النجمى)

– له خبرة فى الصحافة الأدبية ، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» .

– من مؤلفاته التى صدرت :

١ – صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك .

٢ – مأساة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب .

٣ – شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت .

٤ – فيلسوف الصعاليك ، عبد الحميد الديب .

٥ – رحلتى مع القلم .

٦ – اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحى .

٧ – شاعر الأطلال ، ناجى .

٨ – شعراء الحب .

٩ – ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٣٢٩٦ / ١٩٩٩.

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 166 - 8)

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر حيث يعده النقاد أبرز شاعر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعراً فريداً . وف[illegible]رة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركه وتشرده فى الشوارع وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، كل هذا وغيره رسمه لنا الأديب بريشته المبدعة الخلاقة . فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى وعزفت لنا القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان فى شعرنا المعاصر.

فالكتاب يتناول سيرة هذا الشاعر المحروم من خلال شعره.

تصميم : عاطف عبد الحفيظ

Bibliotheca Alexandrina
04940028

المجلس الأعلى للثقافة